

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université MUSTAPHA STAMBOULI de Mascara

جامعة مصطفى اسطمبولي

Faculté des sciences Humaines et sociales

كلية العلوم الإنسانية



قسم : العلوم الإنسانية

الدكتور: بوجلال قدور

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر "أ".

السند البيداغوجي الخاص بمقياس:

المدارس التاريخية.



موجه لطلبة السنة: السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية
فـ _____: علوم انسانية - تاريخ
مـ _____: علوم انسانية واجتماعية
عدد صفحات السند (مع احتساب الواجهة وما تلاها): 139 صفحة

لجنة تحكيم السند:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	جامعة الانتماء
01	شاطو محمد	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي البيض
02	برنو توفيق	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر
03	بشير بلمهدي علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

السنة الجامعية: 2024-2025م



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

معتمد في: 2025/01/19

رقم: 02 / قع / 1 / دع / 1 / ج م / 2025



شهادة

أنا الممضي أسفله :

السيد : نائب العميد المكلف بالدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة ،

تشهد بأن الأستاذ(ة): بوجلال قدور

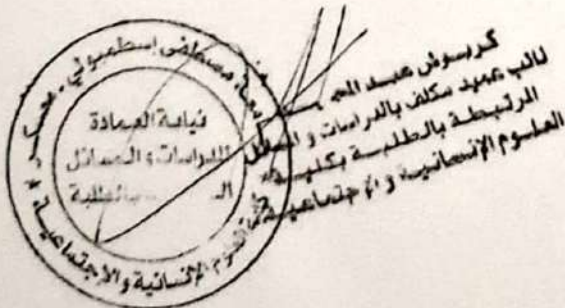
الرتبة: أستاذ محاضر "1" بقسم العلوم الإنسانية.

قد أشرف على تدريس مقياس: "المدارس التاريخية" كمحاضرة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ

المقاومة والحركة الوطنية خلال السداسي الأول من الموسم الجامعي 2023 - 2024

حررت هذه الشهادة بطلب من المعني بالأمر لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

نائب العميد



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

معسكر في: 2025/01/19

رقم: 03/ق ع 1/ل ع 1/ج م / 2025



شهادة

أنا الممضي أسفله :

السيد : نائب العميد المكلف بالدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة،

نشهد بأن الأستاذ(ة): بوجلال قدور

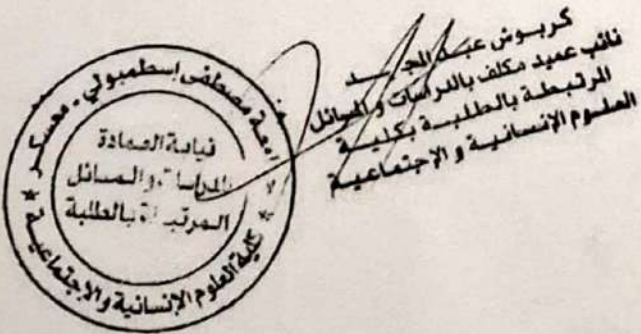
الرتبة: أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم الإنسانية.

قد أشرف على تدريس مقياس: "المدارس التاريخية" كمحاضرة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ

المقاومة والحركة الوطنية خلال السداسي الأول من الموسم الجامعي 2024 - 2025

حررت هذه الشهادة بطلب من المعني بالأمر لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

نائب العميد



- قسدي الأول : المقاومة والحركة الوطنية لجزائرية 1830-1954 -

نوع التعليم	الأرصدة	العمل	القيم المالي السنوي			القيم المالي السنوي		وحدة التعليم
			أصل موجهة	أصل تطبيقية	أصل أخرى	محصنة	16-14 أسبوع	
مسترة	18	09	180	45	180	06	180	وحدة تعليم الأسلية و 11 (أج)
•	05	03	45	01.30	01.30	01.30	45	قسمة عسكرية فرنسية على جزائر (1830)
•	05	02	45	01.30	01.30	01.30	45	قسمة قومية عسكرية خلال قرن 19
•	04	02	45	01.30	01.30	01.30	45	و 21 (أج)
•	04	02	45	01.30	01.30	01.30	45	قسمة قومية من الاحتفال فرنسي تقويز
•	09	04	90	03	03	03	90	قسمة عسكرية فرنسية في جزائر خلال الحكم العسكري
•	05	02	45	01.30	01.30	01.30	45	و 1 (أج)
•	04	02	45	01.30	01.30	01.30	45	قسمة قومية فرنسية خلال قرن 19
•	02	02	45	03	03	03	45	قسمة تعليم العسكرية
•	01	01	22.30	01.30	01.30	01.30	22.30	و 1 (أج)
•	01	01	22.30	01.30	01.30	01.30	22.30	قسمة 1: إقليمية تحويلات الإحصائية في جزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي
•	01	01	22.30	01.30	01.30	01.30	22.30	قسمة 2: إقليمية: (اختبار مدة واحدة) - الأثرية قومية - علم لفرقة
•	01	01	22.30	01.30	01.30	01.30	22.30	و 1 (أج)
•	01	01	22.30	01.30	01.30	01.30	22.30	قسمة 1: إقليمية فرنسية
•	30	16	450	10.30	10.30	12	337.30	مجموع قسدي 1

أعلن إيفان سلس عن طريق التتار

المؤسسة: جامعة مسقط إيسلمولي - معسكر - غوان الماستر: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية للجزائرية 14
الطبعة الخامسة: 2017-2018

عنوان الماستر: المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية

المستاسي: الأول

اسم الوحدة: منهجية

اسم المادة (اج) المدارس التاريخية

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم: (ذكر ما يفترض على الطالب اكتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة، في ثلاثة أسطر على الأكثر) معرفة المناهج التاريخية و الأسس الفكرية والفلسفية الكبرى التي تستند إليها وتأثير تلك على خط الكتابات التاريخية ومعرفة أوجه الاختلاف فيما بينها.

المعارف المسبقة المطلوبة: (وصف تفصيلي للمعرف المطلوبة والتي تمكن الطالب من مواصلة هذا التعليم، سطرين على الأكثر). فكرة عن العلاقات الجزائرية الأوروبية في العهد العثماني

محتوى المادة: (إجبارية تحديد المحتوى المفصل لكل مادة مع الإشارة إلى العمل الشخصي للطلاب)

- المدارس العربية

- المدارس الغربية

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة، امتحان....الخ (يُترك الترجيح للسلطة التقديرية لفريق التكوين)

فهرس المحتويات	
الصفحة	
10	المحاضرة رقم: 01: مفهوم مصطلح التاريخ.
10	المبحث الأول: معنى التاريخ (التعريف اللغوي والاصطلاحي).
10	المطلب الأول: المعنى اللغوي.
10	لمطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي.
11	المبحث الثاني: مواضيعه ومقاصده.
11	المطلب الأول: مواضيعه.
12	المطلب الثاني: مقاصده.
12	المبحث الثالث: أهميته.
13	لمبحث الرابع: التدوين التاريخي عند المسلمين.
13	لمطلب الأول: أسباب اهتمام المسلمين بالتاريخ وتدوينه.
15	لمطلب الثاني: التدوين التاريخي عند العرب المسلمين.
15	لمطلب الثالث: المدارس التاريخية.
15	المبحث الأول: مفهوم المؤرخ.
15	أ- مدرسة التاريخ في المدينة.
17	ب- مدرسة التاريخ في العراق.
18	لمبحث الخامس: منهج الكتابة التاريخية عند الأوروبيون (الحقبة الوسيطة نموذجاً).

20	استنتاج.
20	المحاضرة رقم: 02: مواصفات المؤرخ.
21	المبحث الثاني: مواصفات المؤرخ.
25	المبحث الثالث: شروط المؤرخ.
26	المبحث الرابع: مهام المؤرخ.
27	المبحث الخامس: المهارات اللازمة للمؤرخ.
27	المبحث السادس: نبذة عن أهم المؤرخين ومساهماتهم.
30	استنتاج.
30	المحاضرة رقم: 03: المدرسة التاريخية العربية.
30	المبحث الأول: المدرسة التاريخية العربية.
32	المبحث الثاني: المراكز الفكرية للمدرسة التاريخية العربية.
33	أ - البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب.
37	ب - الظروف المساعدة في نشأة التاريخ وتدوينه عند العرب بعد نزول الوحي.
42	المبحث الثالث: المنهج العلمي للمدرسة التاريخية العربية.
46	استنتاج.
47	المحاضرة رقم: 04: عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة الأوروبية ما بين القرنين 15 - 19م.
47	المبحث الأول: التدوين التاريخي في عصر النهضة.
51	المبحث الثاني: أبرز مؤرخي عصر النهضة.
54	المبحث الثالث: عوامل تطور الكتابة التاريخية.
60	المبحث الرابع: خصائص الكتابة التاريخية في القرن 19م.
62	المبحث الخامس: القومية والكتابة التاريخية.
63	المبحث السادس: الكتابة التاريخية القومية في ألمانيا.

66	استنتاج.
67	المحاضرة رقم: 05: المدرسة المادية التاريخية.
67	المبحث الأول: تعريفها وأصولها ومفكرها الرئيسيون.
67	1- تعريفها.
69	2- أصولها.
70	3- مفكرها الرئيسيون.
71	المبحث الثاني: مبادئها الأساسية.
74	المبحث الثالث: البنية التحتية و البنية الفوقية (شرحهما).
75	المبحث الرابع: ظهور المادية التاريخية.
77	المبحث الخامس: مراحل تقسيم التاريخ.
79	المبحث السادس: الانتقادات الموجهة لها.
81	استنتاج.
82	المحاضرة رقم: 06: المدرسة الوثائقية التاريخية.
82	المبحث الأول: نشأة المدرسة الوثائقية.
82	1- التعريف بالمدرسة الوثائقية.
82	أ- الوثيقة التاريخية.
83	ب- مفهوم المدرسة الوثائقية.
84	2- أهمية الوثائق في الكتابة التاريخية وعلاقتها بالتاريخ.
85	المبحث الثاني: أسس المدرسة الوثائقية وروادها.
90	المبحث الثالث: أصناف الوثائق وخطوات نقدها.
93	استنتاج.
93	المحاضرة رقم: 07: المدرسة التاريخية.

93	المبحث الأول: نشأة وتطور المدرسة التاريخية.
93	1- أصل ومفهوم التاريخية.
95	2- التأسيس وبداية التاريخية.
96	3- الفرق بين التاريخية والتاريخية.
97	المبحث الثاني: أهميتها ومبادئها.
100	المبحث الثالث: أزماتها.
101	المبحث الرابع: التاريخية والدين.
110	استنتاج.
111	المحاضرة رقم: 08: المدرسة الوضعية.
111	المبحث الأول : ظهور المدرسة الوضعية.
113	المبحث الثاني: تعريف المدرسة الوضعية.
116	المبحث الثالث: الإطار التاريخي لفلسفة كونت الوضعية.
117	المبحث الرابع: مفهوم الفلسفة الوضعية.
117	المبحث الخامس: روادها.
124	استنتاج.
124	المحاضرة رقم: 09: مدرسة فرانكفورت.
124	المبحث الأول: نشأتها.
126	المبحث الثاني: روادها.
127	استنتاج.
129	قائمة المصادر والمراجع

المحاضرة رقم: 01: مفهوم مصطلح التاريخ:

المبحث الأول: معنى التاريخ (التعريف اللغوي والاصطلاحي)

المطلب الأول: المعنى اللغوي:

هو تعريف بالوقت، وقد اختلف العلماء في أصل هذه الكلمة: "تاريخ" ومدلولها، فيرى البعض أنها لفظ عربي خالص، ويرى آخرون أنها لفظ فارسي، وأن العرب استمدوها من الفرس، والتاريخ يعني التوقييت أي تحديد زمن الأحداث وأوقات حدوثها¹.

ويعرف السخاوي علم تاريخ في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم تاريخ بما يلي: "الاعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب وورخته، أي بينت وقت كتابه"، كما يقول الجوهري: "التاريخ تعريف الوقت، والتورخ مثله: يقال أرخت وورخت، وقيل اشتقاقه من الأرخ يعني بفتح الهمزة وكسرهما، وهو صغار الأنثى من بقر الوحشي لأنه شيء حدث كما يحدث الولد"².

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي:

لقد تعددت التعاريف الاصطلاحية لعلم التاريخ، سنستعرض بعضها:

يعرف ابن خلدون في كتابه الشهير "المقدمة" عن علم التاريخ: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم. حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبها إلى الحق وينكبان به عن المزالات والمغالط...."³.

1- شوقي الجمل، علم التاريخ: نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ص: 08.

2- محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص: 16.

3- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن هيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 09.

- وقال المقرئ عن التاريخ: "الإخبار عما حدث في العالم في الزمان الماضي".

- كما يقول سيد قطب كذلك: "التاريخ ليس هو حوادث، إنما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان"¹.

المبحث الثاني: مواضيعه ومقاصده:

المطلب الأول: مواضيعه:

ما موضوع التاريخ؟ والجواب أن التاريخ من حيث معناه العلمي لا موضوع له على الإطلاق، هو مجرد طريقة البحث، ولكن يتعين له موضوع ينبغي أن نقرن اسمه بوصف من الأوصاف، وعلى ذلك تكون الشؤون الماضية للدول موضوع التاريخ السياسي، والشؤون الماضية للكنيسة موضوع التاريخ الكنسي².

ودراسة حياة الأفراد والجماعات والتغيرات الاجتماعية لفهم كيف أثرت التغيرات الاجتماعية على الحياة الإنسانية موضوع التاريخ الاجتماعي، وتطور الأنظمة الاقتصادية، التجارة والصناعات عبر الزمن، وتأثير العوامل الاقتصادية على المجتمع والسياسة موضوع التاريخ الاقتصادي، ناهيك عن الفنون والآداب والعادات الثقافية، وكيفية تشكيل الثقافات المختلفة موضوع التاريخ الثقافي.

كما أن الاهتمام بالأفكار والمفكرين وتأثيرهم على المجتمع، يتناول فلسفة التاريخ، والسياسة والاتجاهات الفكرية³ ودراصة الحروب والمعارك والاستراتيجيات العسكرية، وتأثير الحروب على

1- محمد بن صامل السلمي، المدخل إلى علم التاريخ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 2009م، ص: 08.

2- يوسف القيسري، تاريخ الكنيسة، تعريب: القمص مرقس داود، الطبعة الثانية، 1988، القاهرة، ص: 10، 11.

3- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، المؤسسة الثقافية الجامعية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1975م، ص: 19، 20.

المجتمعات موضوع التاريخ العسكري والحربي¹. زيادة على دراسة تأثير البيئة على الحضارات، وكيف شكلت العوامل البيئية في تطور المجتمعات موضوع التاريخ البيئي. بالإضافة إلى المقارنة بين الفترات التاريخية أو الثقافات المختلفة لفهم الاختلافات والتشابهات، فهو موضوع التاريخ المقارن².

المطلب الثاني: مقاصده:

ما مقصد البحث التاريخي؟، لقد تقدم هذا السؤال، فالقصد من البحث التاريخي جلاء الحاضر، وتوضيحه أن جميع المواد التي يبحث فيها التاريخ هي في الواقع حاضرة موجودة، ولا يدخل في متناول بحثه شيء مضى وانقطع وجوده، وفوق ذلك ينبغي أن يسير الباحث في بحثه على هدى الأفكار والآراء والمصالح السائدة وقت البحث، ذلك بأن المؤرخ ليس في مقدوره أن ينتزع نفسه من المحيط الذي يعيش فيه، وليس له في الحق أن يحاول ذلك. إن قصده كمؤرخ هو بالدقة أن يصل إلى فهم محيطه وفهم نفسه، وجملة القول أن التاريخ كله كما يقول الأستاذ "بنديتو كروتشي"، عبارة عن التاريخ المعاصر، وأن كل من يحمل بحق لقب مؤرخ هو فيلسوف أراد ذلك أم لم يرد³.

المبحث الثالث: أهميته:

بالإضافة إلى تصور الأحداث القديمة التي مرّ بها الإنسان عبر العصور القديمة، وبالتالي تعتبر الدراسات التي يقدمها علم التاريخ وسيلة لتجنب الأخطاء التي وقع فيها الإنسان قديماً، والتي تؤدي إلى الدمار. ومن خلال معرفة سير الحضارات الإنسانية القديمة، ودراسة عوامل قيامها وإلى

4-أريك مويز، مدخل إلى التاريخ العسكري، ترجمة: العقيد الركن أكرم دبيري والمقدم الهيثم الأيوبي، الطبعة الثانية، 1979م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ص، ص: 19، 20.

1- علي عاطف، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م، ص: 22.

2- كاتب إيطالي كبير لايزال على قيد الحياة، كتب في التاريخ والفلسفة، ومن أهم مؤلفاته: نظرية تاريخ والتاريخ.

ازدهارها وتقدمها على غيرها من الحضارات، والأسباب التي أدت الى زوالها ودمارها وضعفها عبر الزمن¹.

هذا ويعتبر علم التاريخ من أبرز العلوم التي تربط الانسان بماضيه، فهو عبارة عن امتداد لأصول الإنسان، وخير مثال على ذلك التاريخ الإسلامي، فدراسة السيرة الكاملة لحياة الرسول عليه الصلاة والسلام، والغزوات التي قام بها وفتوحات المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ماهي إلا لربط الانسان المسلم بأصوله القديمة وبأجداده، ومنها يستمد المسلم قوته وثقته بنفسه، وتتم تلك الدراسة من خلال الرجوع الى المصادر الرئيسية التي تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتب السير الذاتية الموثوق بها عبر التاريخ².

إن الهدف الأسمى من دراسة التاريخ هو أخذ العبرة من الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، فالتاريخ له أهمية كبيرة في وضع مستقبل الأمة، كذلك يجب على الأمة أن تمتلك الحد الأدنى من المعرفة والوعي في التاريخ وتوظفه خير التوظيف في رسم المستقبل، فالذي لا يفهم التاريخ ولا يحسن قراءته، ومن لم يتعلم من أخطاء الماضي، فإنه حتما سيتخبط في طريقه، وسيقع في أخطاء كان الأجدر أن يتجنبها لو أنه درس التاريخ جيدا³.

المبحث الرابع: التدوين التاريخي عند المسلمين:

المطلب الأول: أسباب اهتمام المسلمين بالتاريخ وتدوينه:

إن الأسباب التي أدت الى الكتابة التاريخية عند العرب تتصل بالتطورات الثقافية والتيارات في المجتمع العربي منها: تكون لدى العرب شعور بأهميتهم، وإدراك بأنهم أصحاب رسالة عالمية في الإسلام، وهذا الشعور يتصل بتكوين الإمبراطورية العربية الإسلامية⁴.

3- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ص، ص: 14، 15.

1- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص، ص: 40، 41.

2- محمد صفوت مصطفى، "أهمية دراسة التاريخ"، مجلة الرسالة، العدد: 499، بتاريخ 29 أكتوبر 2024، ص: 01.

3- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، الجزء: 02، ص: 116.

وكذلك رغبة في العناية بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه وأحاديثه وأخبار عصره، مما أدى إلى نشوء هذا الفرع من التاريخ سمي بالتاريخ الإسلامي، وكذا بروز الخلاف حول مسألة الخلافة التي ظهرت كأهم مشكلة في خضم الأحداث، إلى جانب مواضيع خلافية فكرية ومذهبية، وكذلك تأسيس ديوان الجند الذي يعرف بالديوان، وهو السجل الذي تسجل فيه أسماء المقاتلة وعيالهم، عاملاً في عملية التدوين والاهتمام بأخبار القبائل والأنساب، والسبب الذي يبدو قوي وهو وضع عمر بن خطاب رضي الله عنه التقويم الهجري الجديد، فكان تقويمًا ثابتًا حفز على توثيق الأحداث أي تاريخها مما شجع الكتابة في التاريخ¹.

ويضاف إلى الأسباب كذلك العصبية القبلية عند العرب بين القيسية واليمانية، وهي ذات طابع سياسي، ومنافسات الأقاليم المختلفة بين الشام والحجاز واليمن والعراق وبلاد الفارس، كلها أدت إلى محاولات تسجيل الأحداث والمفاخر ووقائع التاريخ².

ولاننسى تمحيص الروايات والأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ينبني على العناية بتراجم الرجال وتدوينها، مرتبة على نظام الطبقات أو حسب البلدان والمدن أو حسب تاريخ الوفيات.

1- فاروق عمر فوزي، التدوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 44.

2- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م، الجزء الأول، ص: 63.

3- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، الجزء 02، ص: 120.

المطلب الثاني: التدوين التاريخي عند العرب المسلمين:

نشأت الكتابة التاريخية الإسلامية نشوءاً طبيعياً استجابة لحاجة المجتمع الإسلامي، وكان القرآن الكريم أول مصدر للكتابة التاريخية للمسلمين، فقد حمل أخبار عدة أمم خلت كسباً، وعدة أقوام عربية بادت كعاد وثمود، وعدة قصص كأصحاب الكهف، وأصحاب الفيل، وهجرة سيدنا إبراهيم، وغيرها من قصص الأنبياء¹.

ولقد اتسم التدوين في مراحله المبكرة بالطابع الشخصي، أو بالفضول العلمي أو بالمنفعة الدينية، فالتقدم والتطور في الكتابة التاريخية هو امتداد لقصص الأيام التي عرفها العرب قبل الإسلام، وأهمية روايات الأيام هي في استمرارها في صدر الإسلام، فأسلوب قصص الأيام مباشرة يفيض بالحيوية، وواقعي يختلط فيه النثر بالشعر، وهذا الأسلوب له أثر في بداية علم التاريخ عند العرب وخاصة في الأوساط القبلية، كما كان التدوين التاريخي يتسم بالطابع القبلي والمحافظة على التقاليد².

كما برز رواة أوائل اشتغلوا بالتاريخ والأخبار والأنساب وهم: عقيل بن أبي طالب وكان عالماً بنسب قريش يروي في مسجد المدينة أيام العرب ومعاركها، وأبو بكر بن الحكم النسابة والرواية ومخرمة بن نوفل العالم بالشعر والأنساب وأخبار العرب، وهؤلاء الذي لهم دور في نقل التاريخ من الذاكرة والمعرفة الشفهية إلى المعرفة المكتوبة³.

المطلب الثالث: المدارس التاريخية:

أ- مدرسة التاريخ في المدينة: لما كانت المدينة عاصمة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدون ومركز تجمع الصحابة، ولما كانت البلد الذي نزل فيه الدين الجديد، تولدت

1- محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص: 35.

2- محمد أحمد ترحيني، المرجع نفسه، ص: 41.

حاجة ملحة عند المسلمين الجدد الذي انتشروا في بقاع بعيدة واسعة الى معرفة أكثر عمقا بالدين الجديد، وكما تولدت لديهم حاجة أخرى لمعرفة الأحكام الإسلامية والحديث والسنن والتفسير وتفاصيل الهجرة والمغازي، وكان من الطبيعي أن يتوجه طلبة العلم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكانت أن تعددت حلقات الدراسة، مشكلة النواة لنشوء مدرسة التاريخ في المدينة، وقد تميزت هذه المدرسة التاريخية بالمعارف التاريخية الإسلامية، وتحديدًا في الحديث والمغازي وفي الفقه، وسوف نذكر أبرز رجال هذه المدرسة¹:

- **عروة بن الزبير**: من أشرف قريش أبوه الزبير بن العوام وأمّه أسماء بنت أبي بكر، وخالته عائشة وجدته خديجة بنت خويلد وأخوه عبد الله بن الزبير، وهناك اختلاف في ولادته بعض يقول سنة 22هـ/ وبعض الآخر سنة 26هـ، ولقد نشأ ودرس في المدينة، وكان طموحاً ويختلف عن أخوته عبد الله ومصعب، ولقد روى عنه ابنه شام بأنه كان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر ومات وهو صائم، ولقد أمضى عروة حياته بين الدرس والتدريس وكان من فقهاء المدينة السبعة².

كما قال عنه تلميذه الزهري: **"كان عروة بحراً لا يكدره الدلاء"**، ولقد تناول بالكتابة الأحداث المتعلقة ب:

- بعث الرسول ونزول الوحي، وبداية الدعوة وموقف قريش من المسلمين.

- الهجرة الى الحبشة وأسبابها.

- ازدياد مقاومة قريش للدعوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة.

1- عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، الجزء 02، ص، ص: 53، 54.

2- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص، ص: 39، 40.

-الفترة الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

واتبع عروة في منهجيته لكتابة التاريخ أسلوب أهل الحديث، ومكنته منزلته وصلاته الاجتماعية من أخذ الروايات والمعلومات من منابعها، وكما تميز أسلوبه بالسلامة والبعد عن المبالغة، وكما جمع عروة ما هو متداول عن الأحداث التاريخية المرتبطة بالمغازي، وأسهم في وضع بعض الأسس التي تقوم عليها الدراسة التاريخية لهذه الفترة¹.

ب- مدرسة التاريخ في العراق : لما كانت البصرة والكوفة من المدن الإسلامية التي اختطها العرب لأنفسهم، ولقد انتقلوا إليها ومعهم عاداتهم الجاهلية وأخلاقهم العربية، فانقسموا فيها قبائل وبطونا: عرب اليمن وعرب الحجاز، ولقد شجع الأمويين النهضة الأدبية والفكرية خاصة فيما يتعلق بالشعر الجاهلي وبعبادات العرب في أيام جاهليتهم، ليجعلوا من البصرة والكوفة البديل عن مكة والمدينة في هذا المضمار، فالعرب ومن ولاهم ويتوجيه من الأمويين وبعد استقرارهم في البصرة والكوفة حافظوا على مفاهيمهم البدوية والتي اتسم فكرها وتراثها بالنقل الشفهي، كما حرصوا على اتصالهم بالصحراء وبالفعاليات الفكرية².

ولقد برزت الكتابات التاريخية التي اهتمت بالأخبار والمآثر القبلية والأنساب في العراق بصفة خاصة ومحددة، وكان ذلك في القرن الثاني الهجري /الثامن ميلادي في عصر العباسيين بالضبط، كما مثل الاخباريون أمثال عوانة بن الحكم (ت147هـ/764م) وسيف بن عمر (ت180هـ/769م) خط الدراسات التاريخية، وتركز نشاطهم في أمصار العراق (الكوفة والبصرة) وأعطى ثقلاً للرواية أو القصة العراقية³.

1- محمد أحمد ترحيني، المرجع السابق، ص: 60.

2- فاروق عمر الفوزي، المرجع السابق، ص: 64.

3- فاروق عمر الفوزي، المرجع نفسه، ص: 64.

كما عبّرت كتب الإخباريين وهم المؤرخون الأولون في العراق، عن الآراء السائدة في العراق مثل الإخباري سيف بن عمر الذي تطرق الى الردة والفتوحات وكما تناول أبو مخنف الردة ، والفتوحات، والشورى.

ولقد ظهر مؤرخين كبار نذكر منهم:

-ابن قتيبة (ت280هـ/882م).

-البلاذري (ت 289هـ/892م)، له كتاب أسماء فتوح البلدان وأنساب الأشراف.

-اليعقوبي (ت281هـ/897م)، له كتاب التاريخ.

-الطبري (ت310م/923م)، له كتاب تاريخ الأمم والملوك¹.

المبحث الخامس: منهج الكتابة التاريخية عند الأوروبيون (الحقبة الوسيطية أنموذجاً):

لقد كان اعتناق الامبراطور الروماني قسطنطين (حكم من 306م الى غاية 337) وظهور الكنيسة المسيحية على الوثنية الرومانية في حدود القرن الرابع ميلادي أثر عميق في فن تاريخ، فلقد انتقل إلى أيدي القساوسة والرهبان أن الفترة الوسيطية تمتد من سقوط روما الشرقية إلى غاية سقوط الإمبراطورية البيزنطية الشرقية وعرفت بالفترة المظلمة، وكان من وراء ذلك أن أصبح التاريخ خاضعاً للاهوت مسخراً له، وفقد بذلك الصفة العلمية التي كان يتصف بها، إن تحول التأريخ إلى رجال الدين كان يعني محو التاريخ الصحيح من الوجود محوا دام ألف عام².

ويمكننا تمييز التدوين التاريخي خلال هذه الفترة على مراحل:

***المرحلة الأولى:** عرفت تحول التدوين التاريخي الى القساوسة والرهبان، ليفقد بذلك كل صفة علمية كان في السابق يتمتع بها خلال عصور الإغريق والرومان، وأصبحت بذلك المادة التاريخية

1- شوقي الجمل، المرجع السابق، ص: 47.

2- هرنشو، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، ص، ص: 38،

39.

ملئية بأخبار المعجزات والخوارق وكل ماله علاقة بالدين، فحلت سيرة القديسين والشهداء، وكانت هذه المؤلفات بعيدة عن الحس النقدي.

***المرحلة الثانية:** وتبدأ أواخر العصور الوسطى (القرنين 14 و 15) متأثرة بعدد من المؤرخين ظهوروا في إسبانيا وألمانيا وإنجلترا، وتميزت بالعدول عن الشكل الحولي في الكتابة متبعين أسلوب القصة مع تقليل من الحديث.

*** المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة عصر النهضة الأوروبية وعصر الانبعاث الذي عرف اهتمامه الكبير بأدب الإغريق والرومان، وصبغ التاريخ بالصبغة الزمنية، وبدأت هذه النهضة بالمدن الإيطالية، وتميزت بتولي العلمانيين كتابة التاريخ عوض رجال الدين، واجتاحت العقلانية في الكتابات التاريخية، وازداد اهتمام المفكرين بشؤون الإنسان مما أدى الى ظهور الحركة الإنسانية، ومن أشهر مؤرخي هذه المرحلة الإيطالي نيكولو ميكيا فيلي مؤلف كتاب " الأمير"¹.

1- سعاد زبيطة، "محاضرة مدخل لدراسة التاريخ"، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابن طفيل قنيطرة، السنة الجامعية 2020-2021، ص، ص: 04، 05.

استنتاج: ما يمكن استخلاصه بعد نهاية المحاضرة ما يلي:

- 1- تعددت معاني ومفاهيم التاريخ بين المؤرخين، لكنها تصب كلها في معنى واحد ألا وهو الوقت.
- 2- دراسة التاريخ تكسب دارسه قدرة على فهم الحاضر والاستشراف بالمستقبل.
- 3- ساهمت عدة عوامل في نشأة علم التاريخ عند العرب المسلمين، في مقدمتها دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
- 4- اشتغلت مدرسة المدينة بدراسة سيرة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وكذلك المغازي.
- 5- اشتغلت مدرسة العراق بدراسة قضايا العصر آنذاك مثل حروب الردة .
- 6- سيطرة الكنيسة ورجال الدين على الكتابة التاريخية خلال الفترة المظلمة من تاريخ أوروبا.

المحاضرة رقم: 02: مواصفات المؤرخ:

المؤرخ هو بمثابة المحقق الذي يستكشف الماضي، ويكشف أسرار، ويحاول فهم أسباب الأحداث وتأثيرها على الحاضر والمستقبل. ولكي يتمكن المؤرخ من القيام بمهمته على أكمل وجه، لابد أن يتحلى بمجموعة من الصفات والمهارات التي تمكنه من الوصول إلى الحقيقة التاريخية، وتقديمها بشكل موضوعي وعلمي.

المبحث الأول: مفهوم المؤرخ:

المؤرخ هو عالم أو فرد متخصص في دراسة التاريخ وتفسيره، يخرط المؤرخون في الفحص المنهجي والنقدي للماضي، ويسعون إلى فهم وشرح الأحداث التاريخية والتطورات والتجربة الإنسانية على مر الزمن. ويستخدمون مجموعة متنوعة من المصادر مثل الوثائق المكتوبة، والتاريخ الشفهي والمصنوعات اليدوية، والأدلة الأثرية لإعادة بناء الماضي وتحليله. كما يلعب المؤرخون دورًا حاسمًا في البحث عن التاريخ وتوثيقه وتفسيره، مما يساهم في فهمنا للماضي وأهميته للحاضر والمستقبل. قد يكون المؤرخون أكاديميين أو معلمين أو باحثين، أو كتاب، أو أمناء أو أمناء أرشيف، أو مستشارين، ويساهم عملهم في الاستكشاف والمسح الأثري المستمر وفهم الماضي. غالبًا ما يستخدمون التفكير النقدي ومهارات البحث، والالتزام بالموضوعية في جهودهم للكشف عن تعقيدات التاريخ وتقديمه للجمهور الأوسع¹.

المبحث الثاني: مواصفات المؤرخ:

إن أول الصفات التي يجب توفرها لدى جميع الدارسين سواء كانوا مؤرخين أم غير مؤرخين، هي حب المعرفة والصبر على تحصيلها، والجد والمثابرة في البحث والعمل، مهما كانت الصعوبات والمشاق التي تقف في سبيله، ولا يجوز أن تكون ندرة المصادر أو غموض الوقائع والحقائق التاريخية واختلاطها واضطرابها، عائقًا أمام رغبته الجامعة في البحث عن الحقيقة، وينبغي على المؤرخ، كما يرى حسن عثمان: "أن يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد لآخر في وطنه، وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يفيد، وينبغي عليه ألا يتسرع أو يقتضب تعجلاً لنيل منفعة، لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية". فالجد والمثابرة مزية في كل بحث علمي، وهي مطلوبة بشكل خاص في البحث التاريخي، لأن الباحث المنتج هو

¹ - محمد ربيع حسنين، محاضرات في علم التاريخ، المنشورات الجامعية، القاهرة، 1996م، ص: 02.

الذي يروض نفسه على العمل الشاق المستديم، وعلى الابتعاد عن الجلبة والضوضاء، وعلى الصبر على ما يثيره البحث أحيانا في النفس من شعور بالوحشة والغربة نتيجة لما تطلبه ظروفه من وحده وانزواء وتأمل¹.

ويجب أن تتوفر للمؤرخ مزية الشك والنقد، فلا يجوز له أن يقبل كل الكلام أو يصدق كل رواية أو أية وثيقة أو مصدر دون درس وفحص واستقراء، وقد بدأ التاريخ يتخذ فعلا صفة علمية منذ أن أخذ رجاله يشكون في الروايات التي نقلت إليهم بالسماع أو الكتابة، منذ أن عمدوا الى نقد رواياتهم وحاولوا امتحان مضمونها، ومهمة المؤرخ هنا تشبه كل من مهمة المحقق والقاضي، فالأول يستنتق الشهود ويجمع شهاداتهم وينقدها من أجل التوصل الى الحقيقة قبل إصدار الحكم، ولا يستطيع كل من الاثنين أن يؤدي مهمته على وجهها الصحيح، إذا لم يأخذ هذه الروايات والشهادات بالشك والتحفظ، ولكن هذه الأصول القضائية مع ذلك أرحم من الأصول التاريخية كما يرى قسطنطين زريق، لأن المتهم برئ حتى تثبت إدانته في القضاء.

ولكن في التاريخ الاتهام هو الأصل، فكل نص مشكوك فيه إلى أن تثبت صحته، وكل رواية متهمة إلى أن يقوم الدليل على صحتها، ولا يمكن للمؤرخ أن ينجز عمله، إذا لم يكن يتمتع بملكة النقد والشك، لأنه يصبح بذلك مجرد شخص عادي ينقل كل ما يصله من أخبار دون تدقيق وتمحيص، ويصدق كل ما يسمعه من روايات على أنها حقيقة واقعة، وليس بهذا يدرس أو يكتب التاريخ، ومن جهة أخرى يجب على المؤرخ أن يكون متزنا في شكه وواعيا في حسه النقدي، أي بعبارة أخرى عليه ألا يعالي في الشك والنقد الى درجة يمكن أن تفقده الاتزان في الحكم، فاللاتزان من صفات العلماء والمؤرخ هنا أحوج ما يكون اليها في عمله الذي يتناول النقد والتجريح ليكون حكمه صائبا في الوصول الى ما يبغيه من اتهام وتبرئة وصولا الى الحقيقة التاريخية².

ومن المزايا والصفات الأساسية للمؤرخ عدم التحيز والتجرد وهي مطلوبة في كل علم ومفروضة على كل باحث، ولكنها أيسر تحقيقا في العلوم الطبيعية منها في العلوم الاجتماعية، فليس من اليسير على المؤرخ أن يتجرد عندما ينظر الى ماضي أمته ونصيبها من الحضارة، وما

1- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ص: 17.

2- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، قاعدة في المؤرخين: مطبوع مع كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث»، ت: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر، 1990، ص: 66.

حققته من انجازات أو ما أصابها من وهن وانتكاس، وينبغي على المؤرخ التحلي بالأمانة العلمية، وأن يكون رائده حب الحقيقة وقولها بشجاعة دون خوف أو تردد. فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطة، ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان، والتي قد يكون في نشرها عدم رضا بعض الفئات من الناس الذين يعرفهم يمتون إليه بصلة معينة، ولا رقيب على المؤرخ في هذه الحالة سوى ضميره .

ويمكن أن نعدد مجمل الموصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ في:

البعد عن حب الشهرة و الظهور، وتكريس جهد المؤرخ في العمل العلمي المجرد من كل تلك الأطماع، حتى لا تسري إليه عوامل تخرجه عن البحث العلمي الهادف للاقترب من الحقيقة كهدف سام للمؤرخ.

وفي ذلك يقول ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت 702 هـ / 1302 م)، وهو في صدد ذكر الضوابط التي ألزم بها نفسه وهو يبحث في التاريخ بقوله: "والتزمت فيه أمرين : أحدهما ألا أميل فيه إلا مع الحق، ولا أنطق فيه إلا بالعدل، وأن أعزل سلطان الهوى، وأخرج من حكم المنشأ و المربى اعتبارات البيئة، وأفرض نفسي غريبا منهم وأجنبيا بينهم"¹.

كما اشترط بن خلدون في المؤرخ أن يكون عالما بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأمصار في السير والأخلاق و العوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا وإلا زيفه واستغنى عنه.

أما المؤرخ شمس الدين السخاوي (ت 902 هـ / 1497 م) فيشترط في المؤرخ الصدق، وإذا نقل يعتمد على اللفظ دون المعنى، وألا يكون ما نقله مما أخذه في المذاكرة ثم كتبه بعد ، ، وأن يسمى المنقول عنه، فهذه شروط أربعة فيما ينقله، أما ما يقوله من قبل نفسه وما عساه يطول فيه من المنقول بعض التراجم دون بعض، فيشترط فيه أن يكون عارفا بحال المترجم علما ودينا

1- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، دار البصيرة، الكويت، 1977م، ص، ص: 24، 65.

وغيرها من الصفات، وأن يكون حسن العبارة عارفا بمدلولات الألفاظ حسن التصوير بحيث يتصور حين ترجمة الشخص جميع حاله، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عنه ولا تنقص، وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه في الإطناب في مدح من يحبه والتقصير في غيره ، وذلك بأن يكون عنده من العدل ، ما يقهر به هواه ويسلك معه طريق الإنصاف¹.

ومن أهم المواصفات التي ينبغي توافرها في المؤرخ:

امتلاك حاسة النقد: وذلك بعدم التأثر بالمسلمات المكتسبة أو الموجودة والشائعة، وأن ينقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين.

الالتزام بالموضوعية: والتي يقصد بها في مفهومها العام معالجة الظواهر باعتبارها أشياء لها وجود خارجي مستقل عن وجود الإنسان، ويقال بأن الشيء الموضوعي هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين مهما اختلفت الزاوية التي يشاهدون منها، والمقصود بها في البحث التاريخي، الوصول إلى الحقيقة دون تدخل للعوامل الشخصية للباحث، فلا يشوبها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص.

وينبغي أن نفرق بين الموضوعية في العلوم الطبيعية، والتي تظهر في المعمل الكيميائي بعد التحليل والتركيب، وعلى العكس من ذلك فإن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تتعلق بالكون ككل، وهي أمر نسبي.

وهذا ما يجعلنا نتساءل باستطاعة المؤرخ أن يكون موضوعيا بحيث ينكر نفسه كل الإنكار، ويمسك في التعبير عن وجهات نظره الخاصة مثلما يصرح بذلك أصحاب النزعة الموضوعية المطلقة ؟ أما أن الأمر معقد تعقد واقع الظاهرة التاريخية التي جوهرها الإنسان، بكل ما يحمله من مشاعر وترباط وثيق مع ما هو خارجه ؟ فلا يستطيع المؤرخ أن يتخلص من ذاتيته ويتخلى عن معتقداته ومواقفه الفكرية مثلما يقول أصحاب النزعة الذاتية؟ أم مثلما أراد أن يوازن بينهما فريق ثالث الذي أكد على ضرورة توافر الموضوعية التامة، إلا أنه لا يمكن إلغاء شخصية المؤرخ الذاتية بما فيها من أحاسيس ومشاعر، والمؤرخ الناجح في نظر هؤلاء هو الحريص على أن لا تغطي كفة عن كفة.

1- حسنين محمد ربيع، محاضرات في علم التاريخ ، القاهرة ، 1996 ، ص، ص: 36 ، 37.

فالمؤرخ هو بمثابة المحقق والقاضي الذي لا يكون حكمه أقرب إلى العدل، إلا بقدر المستوى الذي يصل إليه البعد عن التحيز و الهوى (روح النقد : وهي من أهم صفات المؤرخ بحيث لا يتأثر بالمسلمات المكتسبة أو الموجودة و الشائعة، وأن ينقد نفسه ويتقبل النقد من الآخرين)¹.

وذكر سيد قطب بأنه لكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها، ويربطها بما قبلها وما تلاها، ينبغي أن يكون لديه الاستعداد لإدراك مقومات النفس البشرية جميعها: روحية وفكرية وحيوية، ومقومات الحياة البشرية جميعها : معنوية ومادية، وأن يفتح روحه وفكره وحسه للحادثة، ويستجيب لوقوعها في مداركه، ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد تخرج و تمحيص ونقد.

وقد بنى هذه الموصفات كون أن التاريخ في نظره ليس هو الحوادث، إنما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة و الخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن و البيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان².

المبحث الثالث: شروط المؤرخ:

تطرق الخلل إلى عمل المؤرخين، جعل هناك ضرورة لطرح قضية شروط المؤرخ وكيفية التدوين التاريخي على نطاق البحث، إذ نجدها حاضرة في أعمال ابن خلدون والصفدي والسخاوي من المؤرخين، كما نجدها أيضا في أعمال نفر من علماء الشريعة مثل: تقي الدين السبكي وولده تاج الدين، بل إن هنالك فتاوى صدرت بهذا الخصوص وقع عليها كبار علماء الأمصار كابن حجر العسقلاني ويدر الدين العيني وغيرهما، وقبل أن نتطرق لها نستعرض أولا بعض الضوابط التي وضعها علماء الشريعة واعتبروها وافية لضبط عملية التدوين التاريخي³.

نقل التاج السبكي في طبقاته من خط والده عبارات حول بعض الشروط التي اشترط توافرها في المؤرخ فذكر ما نصه:

-أن يكون عالما، عدلا، صادقا.

-وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى.

1- سيد قطب ، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق ، القاهرة ، 2001 ، ص:37.

2- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثا أو رسالة ، ط.6 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1968 ، ص: 10.

3- فؤاد سيد، "شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم: خمس فتاوى لم تنشر لخمس من أعلام القرن التاسع الهجري"، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1956، المجلد: 02، العدد: 01 و02، ص: 166، 167.

- وأن لا يكون الذي نقله أخذه في المذكرة، وكتبه بعد ذلك.
- وأن يسمى المنقول عنه.
- ويُشترط فيه أيضا لما يترجمه من عند نفسه، ولما عساه يطول في يطول في التراجم ويقصر، أن يكون عالما بحال صاحب الترجمة علما ودينا وغيرهما من الصفات، وهذا عزيز جدا.
- وأن يكون حسن العبارة، عارفا بمدلولات الألفاظ.
- وأن يكون حسن التصور، حتى يتصور حال صاحب الترجمة جميع حال ذلك الشخص، ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه.
- وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره.
- فمواصفات المؤرخ تشمل مجموعة من المهام، المسؤوليات، والمهارات الضرورية للقيام بوظيفته بفعالية.

المبحث الرابع: مهام المؤرخ:

- من أبرز المهام التي يقوم بها المؤرخ في مهنته:¹
- ✓ المؤرخ مسؤول عن تحديد صحة البيانات التاريخية، والحفاظ على القطع الأثرية والوثائق التاريخية الهامة المتواجدة في المتاحف أو المكتبات.
- ✓ دراسة التاريخ من ناحية المجتمعات والثقافات والأوضاع الاقتصادية.
- ✓ المشاركة في الأنشطة العامة الثقافية مثل المعارض والمؤتمرات والبازارات التاريخية، مما يتطلب مهارات تواصل تفاعلية وممتازة.
- ✓ جمع البيانات والمعلومات التاريخية والأثرية من المكتبات والأرشفات، والوثائق ذات الصلة لتحديد مدى أهمية البيانات التاريخية.
- ✓ التدريس في الجامعات وإجراء البحوث العلمية ذات الطابع التاريخي بها.
- ✓ ترجمة المستندات والوثائق التاريخية إلى لغات عدة.
- ✓ دراسة ويبحث التطورات التاريخية للإمبراطوريات والبلدان والمدن والقبائل والعشائر، وما إلى ذلك الحفاظ على المستندات التاريخية سواء في المتاحف أو المكتبات وحفظها من

1- محمد عبد الغني حسن، علم التاريخ عند العرب، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1961، ص: 37.

التحريف أو التغيير، والمساهمة في صناعة وكتابة المحتوى على المجالات الأكاديمية، وإجراء العروض التقديمية في المؤتمرات مع الحصول على معلومات واسعة وشاملة عن السير الذاتية. ✓ إجراء المقابلات مع الخبراء المختصين لاكتساب الفهم الأعمق للأحداث التاريخية.

المبحث الخامس: المهارات اللازمة للمؤرخ:

✓ مهارات الملاحظة: القدرة على ملاحظة التفاصيل الدقيقة في المصادر التاريخية.

✓ مهارات التفسير: القدرة على تفسير الأحداث والوقائع بشكل منطقي.

✓ مهارات المقارنة: القدرة على مقارنة الأفكار والأحداث للعثور على أوجه الشبه

والاختلاف.

✓ مهارات التلخيص: القدرة على تلخيص المعلومات بشكل واضح وموجز¹.

✓ مهارات البحث: القدرة على البحث عن المعلومات في مختلف المصادر.

✓ مهارات التحليل: القدرة على تحليل المعلومات وتقييمها.

✓ مهارات النقد: القدرة على نقد المصادر التاريخية والتميز بين الحقائق والآراء.

✓ مهارات الكتابة: القدرة على كتابة نصوص تاريخية واضحة ومشوقة.

✓ مهارات اللغات: القدرة على قراءة اللغات التي كتبت بها المصادر التاريخية.

✓ مهارات الحاسوب: القدرة على استخدام الحاسوب في البحث والتحليل وتنظيم

المعلومات.

المبحث السادس: نبذة عن أهم المؤرخين ومساهماتهم:

كان هناك عدد لا يحصى من المؤرخين المؤثرين عبر التاريخ، كل منهم قدم مساهمات كبيرة

في مجال التاريخ، فيما يلي بعض أهم المؤرخين ولمحة عامة عن مساهماتهم الرئيسية²:

1- هيرودوت Herodotus (حوالي 484-425 قبل الميلاد):

غالباً ما يُنظر إلى هيرودوت على أنه "أبو التاريخ" لعمله الرائد "التاريخ". سافر كثيراً وجمع

معلومات عن مختلف الثقافات والشعوب والأحداث في عصره.

¹ - حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص: 16.

² - فؤاد زكريا، التفكير العلمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص: 283، 268.

وضع عمله معياراً للبحث التاريخي، مع التركيز على الفاعلية البشرية والسببية، وتقديم نهج أكثر تنظيمًا لتسجيل الأحداث.

2- ثوسيديديس Thucydides (حوالي 460-395 قبل الميلاد):

ثوسيديديس، مؤرخ يوناني قديم معروف بعمله "تاريخ الحرب البيلوبونيسية"، وشدد على التحليل النقدي للأحداث التاريخية سعياً لكشف الأسباب الكامنة وراءها.

قدم مفهوم "المنهج التاريخي" ورأى أن التاريخ يجب أن يقوم على الأدلة والتفسير العقلاني.

3- سيما تشيان Sima Qian (حوالي 145-86 قبل الميلاد):

سيما تشيان، مؤرخ صيني من عهد أسرة هان اشتهر بكتابه "سجلات المؤرخ الكبير (شي جي)".

يعتبر عمله أحد أهم النصوص التاريخية في تاريخ الصين، حيث يقدم وصفاً شاملاً لتاريخ الصين وثقافتها وسياستها.

4- ابن خلدون (1332-1406):

ابن خلدون مؤرخ من شمال أفريقيا، كتب "المقدمة"، وغالباً ما يعتبر رائداً في علم الاجتماع والتاريخ. هذا وقد أكد عمله على دور العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تشكيل التاريخ، وقدم مفهوم الدورات التاريخية وأهمية فهم الماضي لفهم الحاضر¹.

5- إدوارد جيبون Edward Gibbon (1737-1794):

يعد كتاب جيبون "تاريخ انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية"، عملاً ضخماً يتتبع سقوط الإمبراطورية الرومانية على مدى قرون، حيث جمع منهجه في التاريخ بين البحث الدقيق والمهارة السردية والتركيز على الترابط بين الأحداث التاريخية.

6- ليوبولد فون رانكه Leopold von Ranke (1795-1886):

رانكه، مؤرخ ألماني يعتبر في كثير من الأحيان مؤسس التاريخ الأكاديمي الحديث، حيث دعا إلى الموضوعية واستخدام المصادر الأولية. إن تركيز رانكه على "wies gentlich gewesen"، كيف حدث ذلك بالفعل، وضع معياراً للمنهجية التاريخية الصارمة.

1- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، القاهرة، دار الفجر، 2004، ص، ص: 14، 15.

7 - فرناند بروديل (1902-1985) (Fernand Braudel):

كان بروديل مؤرخاً فرنسياً معروفاً بعمله حول البحر الأبيض المتوسط ومدرسة أناليس للكتابة التاريخية، كما قدم مفهوم "التاريخ الشامل"، الذي استكشف تفاعل الجغرافيا والمناخ والأنشطة البشرية في تشكيل الأحداث التاريخية.

8- إيه كار (1892-1982) E.H. Carr:

كان كار مؤرخاً بريطانياً، قدم مساهمات مهمة في فلسفة التاريخ كتابه "ما هو التاريخ؟" تحدى الأساليب التاريخية التقليدية، كما أكد على دور التفسير وذاتية المؤرخ في تشكيل الروايات التاريخية.

9- ناتالي زيمون ديفيس (مواليد 1928) Natalie Zemon Davis:

تشتهر ديفيس بعملها الرائد في التاريخ الاجتماعي والثقافي، أظهر كتابها "عودة مارتن غيري" قوة التاريخ الجزئي في فهم الأحداث التاريخية.

10 -إريك هوبسباوم (1917-2012) Eric Hobsbawm:

قدم هوبسباوم، وهو مؤرخ بريطاني، مساهمات كبيرة في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، وخاصة في أعماله عن الثورة الصناعية وتاريخ الرأسمالية.

استنتاج:

إن المؤرخ يجمع بين مجموعة من المهارات والصفات التي تمكنه من تقديم سرد دقيق وشامل للأحداث التاريخية، فأولاً يجب أن يتحلى المؤرخ بالموضوعية، حيث يسعى لعرض الأحداث كما هي، دون تحريف أو تحيز. إضافة إلى ذلك، يعتمد المؤرخ على مهارات البحث والتحليل لاستنباط الحقائق من المصادر التاريخية المتنوعة، سواء كانت مكتوبة أو شفهية. كما أن القدرة على التواصل الفعال من خلال الكتابة الواضحة والمفصلة تتيح له نقل الأفكار والمعرفة للقراء أو المستمعين.

لا تقتصر صفات المؤرخ على المهارات الأكاديمية فقط، بل يجب أن يكون لديه وعي ثقافي وحس نقدي يمكنانه من فهم السياقات الاجتماعية والسياسية التي أثرت في الماضي. إضافة إلى ذلك، يعد التحلي بالصبر والاهتمام بالتفاصيل من الصفات الأساسية، حيث يحتاج المؤرخ إلى دراسة الأحداث والمعطيات بدقة لتجنب الاستنتاجات السطحية أو الخاطئة. كما أن الشغف بالتاريخ والرغبة في اكتشاف الحقائق المدفونة تلعبان دوراً أساسياً في استمرار عمله وتطويره.

بالنهاية، يمكننا القول أن المؤرخ ليس مجرد ناقل للحقائق، بل هو محلل للماضي، وموجه لفهمنا للحاضر والمستقبل.

المحاضرة رقم: 03: المدرسة التاريخية العربية:**المبحث الأول: المدرسة التاريخية العربية:**

اهتم الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض وتدرّجه زمنياً فيها على الولوع والاستئناس بما حصل له في الماضي أو بسيرة الأقبام الذين سبقوه، وبذلك فإن المتأمل في سنن الله لبني البشر يجد بأن التاريخ جزء جوهري من تلك السنن، لا يمكن للإنسان أبداً أن يشق مسار الحياة دون أن يكون ذلك التاريخ جزء من قواعد الانطلاق في ذلك المسار، لذلك لا نجد شعب من الشعوب تغاضى عن التاريخ من حيث التناول والتداول، ومن تلك الشعوب التي كان التاريخ جزء من منظومتها الحياتية العرب الذين اهتموا به وتدارسوه وألفوا فيه، بل

وكانت بلادهم مهدا للكتابة الإنسانية انطلاقا من وادي الرافدين، ووادي النيل، والعربية الجنوبية (بلاد اليمن)، وتدمر، والأنباط والمناذرة، ولاحقا في نجد والحجاز.

ولكن قبيل نزول وحي السماء على سيدنا النبي محمد عليه الصلاة والسلام كان العرب يعيشون عصر جاهليا بالنظر لصفات السفه والطيش والعصبية والوآد وغيرها من الصفات، لكن هذا لم يمنع وجود معالم تحضر ومكارم أخلاق ميّزت العرب عن سائر الشعوب، ومن ذلك الجانب العلمي الذي رغم بساطته إلا أنه كان حاضرا ووفق أسس ومناهج قام عليها خاصة المنهج التجريبي، وتجسد ذلك في علم القيافة والنجوم، والشعر وما كان يعقبه من مسابقات وكتابة ونشر وإعلام فيما يعرف بالمعلقات مثلا، ولكن لم يندفع العرب بعيدا في تطوير هذه المكتسبات والمنتجات بما في ذلك تطوير الكتابة وتنويعها بحكم طبيعة هذه البلاد، ونمط العيش الذي اعتاد عليه العرب في هذه المرحلة، والذي أبعدهم عن نمط عيش الحواضر والقائم على عدم الاستقرار، وبالتالي عدم تهيئة مجتمع متحضر يهتم بالكتابة وتطوير المعارف، وكانت أنماط الثقافة في مجملها ترتبط عندهم بشكل أكبر بالتداول الشفهي القائم على قوة الذاكرة، والتي كانت الأساس الأكبر والمصدر الأبرز في التباهي العربي، خاصة في مجال تداول الحوادث التاريخية التي كانت جزء محوريا في مسار العيش عندهم في الجزيرة العربية، حتى عد أصل العلوم عندهم¹.

وقد كان هذا الفكر التاريخي عندهم قبل الإسلام يسير في مسارين أساسيين هما: "أيام العرب" و"الأنساب"، فضلا القصص التاريخي أو شبه التاريخي الذي تناقلوه أبا عن جد أو من خلال مجالس السمر، حيث كانت كل قبيلة تحفظ أنسابها وتتفاخر بها حتى لا تختلط بأنساب غيرها، وهنا اختصر التاريخ في الأنساب، وقد أشار إلى ذلك كل من النويري في (نهاية الأرب في فنون العرب)، والقلقشندي في (صبح الأعشى)، أما الأيام فكانت أبرز أنماط المعرفة التاريخية عند العرب قبل رسالة الإسلام الخاتمة، وكانت تشكل الوعاء الذي تحفظ فيه القبيلة ذكرياتها، وفيه كانت تحفظ القبيلة أيام حروبها ومعاركها، بهدف الإمتاع بمآثر أسلافهم دون البحث عن الحقيقة التاريخية وفق مناهج الإقناع التي طوروها فيما بعد ظهور الإسلام.

¹ - السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص: 03.

ورغم ارتكاز العرب على هذا التراث الشفوي بشكل كبير، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود نمط للكتابة التاريخية، يقوم على ما يعرف بالنقوش التاريخية، والتي دون فيها الملوك حروبهم وأعمالهم، وقد أشار إلى ذلك الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)، ونشوان الحميري في معجمه اللغوي، حينما أظهر تلك النصوص التاريخية في بعض موادها المتعلقة بأسماء الآلهة وأنواع القرابين وأسماء القبائل والأفراد، وبعض المعلومات عن القوانين التي حكمت الناس آن ذاك¹.

ومنه نخلص إلى أن التفكير التاريخي العربي قبل الإسلام لم يكن مؤسسا وفق مناهج مقنعة وأهداف واضحة بل كان في جله مرتبطا بالأسطورة والخرافة والتباهي، ولم يكن يحمل قيمة اجتماعية لها دورها في التشكل المعرفي والبناء المجتمعي، لكن شاءت قدرة الله بعد مدة زمنية أن يتفرد العرب على سائر الشعوب في الإبداع التاريخي من حيث التنظيم والاهتمام والأسس والقواعد المنهجية، بل وصلوا فيه إلى درجة العلمية.

المبحث الثاني: المرتكزات الفكرية للمدرسة التاريخية العربية:

يعد ظهور الإسلام أكبر منعطفات العرب عبر تاريخهم، بالنظر لما شكله لهم من نقلة نوعية في شتى المجالات وبه انتقلوا من الانزواء ورعاية الغنم والإبل، إلى الاندفاع وتحمل رسالة الأمم، للتغير بموجب ذلك، مسارات حياتهم وأسس تفكيرهم، وتستبدل عقائدهم المنحرفة والضالة بعقيدة واضحة ذات قوام متين، تكونت بناء عليها الأسس البنائية الفكرية الجديدة التي شكلت القاعدة الأبرز لتوحيدهم بعد حياة التبعثر والشتات التي كانوا يعيشونها في ظل القبلية، وما فرضته طبيعتها عليهم من مخاصمات وحروب ودماء.

فالوحي القرآني حرر ذلك الفكر العربي المغلق من مشدات العصبية الضيقة والانزواء إلى سعة الكون وتربط الإنسان بعضه ببعض مهما بعدت المسافات، لأن المنشأ واحد والمآل واحد، والغاية واحدة، وهو ما مس ما نحن في صدد الكلام عليه فيما يتعلق بالفكر التاريخي، الذي انعكست عليه تحررا تلك الهزات التي أحدثها النص القرآني في ذلك الفكر، وبناء عليه فإن تأسيس الوعي التاريخي في ظل الإسلام قد ارتبط بمستويين رئيسيين:

¹ - بتار ولد العربي ولد معط الله، نشأة التاريخ عند العرب المسلمين، مجلة الفسطاط، 2006، ص: 02.

أ - المستوى الفكري المرتبط بالعقيدة الإسلامية ذاتها، أو ما يمكن أن نطلق عليه البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي العربي.

ب- المستوى الواقعي على صعيد المستجدات، والمتمثل في الظروف الجديدة التي فرضت نفسها في عصر ما بعد نزول وحي السماء.

أ - البناء النظري الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب:

البناء الإسلامي للعقل التاريخي عند العرب تشكّل بناء على إشارات الوحي القرآني التي طرحت مفهوما جديدا للتاريخ البشري يقوم في الأساس على قاعدتين مهمتين: الأولى فيهما أن الحياة مبنية على غاية يريدها الله للخلق، ومن ثم فإن الكائنات جميعها تتحرك صوب تلك الغاية، ونجد ذلك في مواطن متعددة من كتاب الله الخالق، ومن نماذج ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات 56، وقوله جل شأنه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ ثُبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾¹، وهي آية تدعو لتحقيق العبودية الله الخالق، وأن تلك العبودية لا تربط بطقوس تؤدي فقط بل ارتباطها بالأوثق بالسلوكات الظاهرة بين المجتمع، والتي تأخذ في حسابها الترابط الوثيق بين الإنسان وما يحيط به من كون مرئي وغير مرئي.

ولذلك نجد النص القرآني يركز على مصطلح الإعمار في الأرض، والذي نرى بأنه أشمل من مصطلح الحضارة التي يكابد الإنسان من أجل إقامتها، لاعتبار الحضارة كمصطلح مرتبطة بالحضر أي الحواضر من حيث البعد المكاني، بينما الإعمار يتعدى الحواضر إلى كل مكان يستطيع أن يبلغه الإنسان فيما أريد له في هذه الحياة، ويتنوع في عمقه ليشمل كافة مناحي الحياة ، وقد فسر بن كثير الدمشقي آية الإعمار تلك بقوله: «استعمركم فيها» أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها²، والإنسان لن يستطيع أن يحقق مسألة الإعمار تلك إذا لم يرتق بنفسه إلى المصاف القادر على تحقيق ذلك، والذي لن يتأتى له، مالم ينهض في تنمية ذاته ومن ثم مجتمعه، وبالتالي يهيئ البيئة الملائمة لتحقيق الإعمار الحق الذي أراده الله حينما خلق هذا الإنسان وما ارتبط به من حياة، خصوصا وأن

¹ - سورة هود، الآية: 61.

² - إسماعيل ابن كثير، التفسير، ج.2، دار طبنة، 2002، ص: 406.

الله لم ولن يدع الإنسان لوحده، في مسألة تحقيق ذلك الإعمار، باعتبار أنه أمده بكل الآليات التي بإمكانها أن تهون عليه سبل تحقيق ذلك، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾¹، وقوله أيضا: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ².

أما الثانية فقد حذر فيها القرآن من الجمود وانتظار المتغير، مكرّسا ذلك مبدأ قوامه أن الإنسان هو الفاعل التاريخي وهو الجوهر المتحرك في هذه الحياة، والوحيد الذي أنيطت له مهمة إعمار هذه الأرض، وأن ذلك لن يتأتى دون تحرك وتخطيط وحسن تدبير، لأن ذلك هو الأرضية التي يتحقق من خلالها مشروع الإعمار الذي أراده الله.

وبيزيد الوحي القرآني في تحرير ذلك العقل العربي ومن ورائه العقل الإنساني برمته بدعوته إلى ضرورة التعرف على ذات الإنسان واستقراء ماضيه والتحكم في بيئته كمكان لتحقيق غاية، لأن ذلك هو الكفيل بفهم مبدأي الغاية والفاعلية اللتان أشرنا إليهما، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾³.

وقد كرّست هذه الآية الأخيرة بأن رسالة الله واحدة منذ أن خلق سيدنا آدم عليه السلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والتي جعل لها شعارا تكرر كثيرا في القرآن، وهو إخراج الناس من: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وهي آية ابتدأت بغاية ينبغي أن تحقق في هذه الحياة هي ثمرة إعمار هذه الأرض سيمتها النور بعد الظلام في كل مجالات الحياة الجامعة بين الفكر والواقع العملي المعاش، واستوت الآية بما يربط تلك الغاية بآليات إحداث الإعمار في الأرض من خلال الوقوف على أيام الله بكل ما تحمله هذه الأيام من صور،

¹ - سورة لقمان، الآية : 20.

² -سورة الملك، الآية: 15.

³ -سورة ابراهيم، الآية :05.

وبما تمثله من ركيزة أساسية لأي بناء نهضوي، ينبغي إعادة الفهم لها من مختلف المناحي، وتنتهي الآية بصورة الإنسان الحق الذي اكتسب وتشرب مقومات الإعمار في هذه الأرض. والملفت هنا في هذه الآية، أن الله ربط بوثاق لا يستقيم معه الفصل، بين إحداث رسالة الإعمار تلك، وتحقيقها لغاياتها المرجوة والمعبر عنها في الوصف القرآني بالنور بعد الظلام، وبين الزمن كمرتكز أساسي، لا يحصل ذلك التحقيق إلا من خلاله، حينما قال: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾²، وقوله أيضا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾³، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁴.

ومن هنا ندرك سر دعوة القرآن الكريم المؤمنين إلى التأمل فيما مضى من أيام الله، لأجل صناعة رجال يمشون في التاريخ ويعيشون فيه، لبناء أهدافهم الكبرى⁵، فالوقوف على الزمن إذن، بكل أبعاده الثلاث، ما فات وما حضر وما هو آت، لهو الكفيل بتشكيل الروح الزكية المنتجة والعقل الناضج المبدع والإرادة القوية المصرة على تحقيق الأهداف، وتحمل المصاعب وعقبات الطريق في سبيل الوصول إلى غاية الله المرجوة لعباده في هذه الأرض. فالزمن إذن، في شق العبرة، يدعوا إلى الاستفادة من تجارب الناس والأمم، حتى لا تتكرر الأخطاء والمزالق، ومعاودة البناء التاريخي من الأساس الأول كل مرة فاقدين بذلك الجهد والوقت اللذان لا تتحمل الحياة فقدهما، وفي شق أخذ الحيلة، مما هو آت من أيام الله، بالمراقبة والمحاسبة والعمل، وقد جاء وصف بن خلدون للشق الأول بقوله: (إذ هو

¹ -سورة ابراهيم، الآية: 05.

² -سورة آل عمران، الآية: 137.

³ - سورة الحج، الآية: 46.

⁴ -سورة الروم، الآية: 09.

⁵ -مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا،

2002، ص: 52.

يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا¹، وفي الشق الثاني جاء قول الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾²، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾³.

بناء على هذه المبادئ تشكّل للإنسان العربي قوام جديد وعميق في الفهم التاريخي تقوم على الغاية والفاعلية للإنسان في هذه الأرض، واللذان لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال آليتي الزمان والمكان بكل الأبعاد المتاحة لهما، واللافت أن الإسلام حرر العقل العربي بعيد من حيث الزمان وربطه ابتداء ببدء الخليقة وانتهاء بنهايتها، وهنا يبرز التصور الإسلامي التاريخي للكون منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة، مع الدعوة إلى امتحان الانتباه عند الانسان في كل مرة بما يربط بالعقيدة من هزات الانتباه: أفلا تتفكرون؟ أفلا يعقلون؟ إن في ذلك لآيات لذوي الألباب..... إلخ.

لنخلص إلى أن الإسلام في نقله النوعي للفكر العربي في فهمه التاريخي قد ربط رابطاً وثيقاً بين العقيدة والتاريخ، وهو مستجد إنساني تعدا الفكر العربي إلى الإنسانية عبر مراحلها التي سبقت، وهو نقلة نوعية للوعي التاريخي من حيث القيمة والغاية بعيداً عن الخيال والأسطورة والخرافة التي كانت سائدة فيه عند كل الشعوب، كما كرّس الإسلام من خلال البيئة ذلك التفاعل العميق المصيري بين الإنسان والبيئة باعتبارها وسيلة لمعرفة الله ومدى قدرته، وامتحان لتلك الفاعلية للإنسان في هذه الحياة.

كل ذلك أحدث ثورة حقيقية في التصور التاريخي عند العرب وحفزهم على التساؤل عن تلك الأمم ومواطنها، وأزمانها وصلتها ببعضها أو بالعرب، كعاد وشمود، وأصحاب شعيب... إلخ، وبالتالي كان القرآن المحفز الأكبر لدراسة التاريخ العربي القديم، إلى جانب التاريخ

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ص: 21.

² - سورة البقرة، الآية: 281.

³ - سورة الانفطار، الآيات: 17 - 19.

العام، في حين كان الحديث النبوي الشريف المحفز للاهتمام بجمع وتدوين التاريخ الإسلامي.

والمتمم في البناء الفكري الإسلامي للإنسان قد أوحى إلى بناء عقله التاريخي من خلال مضامين بنائه للسلوك والخلق عند الفرد والمجتمع، فالله عز وجل حينما يدعوا المجتمع إلى صفاء التعامل من خلال التبيين والتأكد قبل إطلاق المواقف على الناس حينما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾¹، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام يؤكد في أكثر من موضع على هذه القيم القواعد، ومن نماذج ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث)²، وقوله أيضا: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع)³.

من هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، تشكلت منطلقات قواعد منهجية تاريخية عميقة عند العرب، دفعتهم إلى ثورة كبرى في البناء التاريخي كان قوامها التمهيد والتدقيق في الخبر التاريخي قبل اعتماده، وهو الأساس الذي بني عليه ما يعرف بالمنهج التاريخي، والذي كان إبداعاً عربياً خالصاً لم يستفد العرب في إنشائه من أحد أو شعب من الشعوب مثلما كان لهم في علم النحو، وقد قيل: (لم يبدع العرب إبداعاً عربياً خالصاً مثلما أبدعوا في علمي النحو والتاريخ).

ب- الظروف المساعدة في نشأة التاريخ وتدوينه عند العرب بعد نزول الوحي:

بالإضافة إلى البناء الفكري النظري الإسلامي الذي شكّل القواعد القويمة المؤسسة للمنهج التاريخي عند العرب ومن ثم الإنساني، فإن هناك عوامل وظروف من ما هو أصيل عند العرب، ومنها ما هو مستجد دفع بالفكر والكتابة التاريخية إلى مدارج لم تصلها الكتابة التاريخية من قبل ومن أبرز تلك العوامل:

1- التقويم الهجري عند العرب: والذي يعد نقطة الارتكاز للروايات والأبحاث التاريخية حتى تقيد وفق تسلسل زمني ولا تختلط بعضها ببعض، وقد نشأ عند العرب انطلاقاً من عهد

¹ - سورة الحجرات، الآية: 06.

² - متفق عليه.

³ - رواه مسلم وغيره.

الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الرواية التي تقول¹ بأن سبب وضع التاريخ الهجري هو أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر رضي الله تعالى عنه يقول: (إنا قد قرأنا صكا من الكتب التي تأتينا من قبل أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه، وكان محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين هو: الماضي أو الآتي؟ فجمع أعيان الصحابة واستشارهم فيما تضبط فيه الأوقات، وكان فيهم ملك أهواز اسمه الهرمزان، وكان قد أسلم على يديه حين أسر)، فقال له: (إن لنا حسابا نسمة (ما روز) أي حساب الشهور والأعوام، وشرح كيفية استعماله، فأمر عمر بوضع التاريخ، فاستمر رأيهم على تعيين يوم من أيامه عليه الصلاة والسلام لذلك، فجعل مبدأ الهجرة من مكة إلى المدينة إذ بها ظهرت دولة الإسلام، وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ذكر الله التاريخ في كتابه لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول)، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ، قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾²، وهي جمع هلال، (قل هي مواقيت للناس)، أي في دينهم وصومهم وفطرم وعدة نسائهم ومدد حواملهم ومحل ديونهم وأجور أجرائهم، وغير ذلك من الشروط إلى أن انتهى إلى أجل معلوم³.

2- علم الأنساب: والذي شكّل قاعدة مهمة في الكتابة عند العرب، وقد اهتموا به اهتمامهم بحياتهم لأنه جزء من عصبيتهم القبلية، ومصدر الثقة والإلهام لهم في شؤون حياتهم فهو الذي يغذي الشعراء في ميادين الفخر والهجاء، وهو الذي من خلال الأيام يحفظ أخبار العرب ومعاركهم⁴، ولما جاء الإسلام عمق الاهتمام بالنسب وربطه بالعقيدة من خلال الدعوة إلى ذوي القربى وصلة الرحم والإحسان إليهم، من خلال قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا

¹ -ويدجري آلبان، التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفوشيوس إلى توينبي، مقدمة المترجم، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ج. 1، القاهرة، 1996، ص: 9.

² -سورة البقرة: الآية 189.

³ -شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط. 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص: 18.

⁴ -مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م، ص: 65.

يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ¹، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ²، وقوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ³، وقد خاطب القرآن الكريم الناس بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ⁴.

كما برزت الدعوة إلى النسب من قبل النبي عليه الصلاة والسلام من خلال أحاديثه الشريفة، كقوله عليه الصلاة والسلام (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب)، فالإسلام إذن شدد على التعرف على النسب حسب أحكام الشريعة فرضا وواجبا لكي يتعرف فيه الإنسان على محارمه في النكاح، وأن يتعرف على كل ما يتصل به من رحم يوجب ميراثا أو يلزمه صلة أو نفقه عليه⁵، وعزز ذلك كله اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بتدوين أسماء المحاربين وأهلبيهم حسب قبائلهم أعطى للأنساب أهمية جديدة، وكان حافزا إضافيا للاهتمام بهذا الجانب الاجتماعي، والتي تعد البدايات الأولى في العصر الإسلامي، وتشجيعا كبيرا لعملية التدوين التاريخي.

هذا وقد أصبح لكتب الأنساب قيمة في كتابة التاريخ العربي، وأن هذه الأهمية تتمحور من خلال تثبيت استمرار النوع البشري من خلال تأكيد سلسلة الانتماء ما بين الابن إلى الأب والأب إلى الجد وهكذا، فهي إذن دلالة بشرية تبحث في كيفية تكاثر البشر من خلال الزواج وأشكاله ونظام القرابة الذي يؤسسه نظام الزواج، ودلالة زمانية قوامها الوعي باستمرار الزمن وتقسيمه على أساس الأجيال، ومن خلال هذه المصاهرة ينتج عرضيا متحقق معرفي جوهره تطور أشكال التنظيم الاجتماعي انطلاقا من العائلة وشكل الاتساع القرابي

¹ -سورة البقرة، الآية: 215.

² - سورة البقرة، الآية: 177.

³ -سورة الشعراء، الآية: 214.

⁴ -سورة الحجرات، الآية: 138.

⁵ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر، 1977م، ص: 12.

ومستوياته (الشعب - القبيلة - البطن - الفخذ)¹، وانبني على كل ذلك عملية التدوين في الأنساب، ليصبح فرعاً أساسياً من فروع التاريخ حتى ظهرت تواريخ خاصة على أساسه²، " كالنسب الكبير" لهشام الكلبى (ت204هـ) و(نسب قريش) لمصعب الزبيرى (ت236هـ). وكان من الطبيعى أن يكون النسابون الأوائل هم في الوقت نفسه من الإخباريين الأولين كمحمد بن السائب الكلبى وابنه هشام وهيثم بن عدي³، وحين انصرف النسابون إلى جمع المادة وتسجيلها جمعوا معها ومن حولها الكثير من المادة التاريخية التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابها، ولعل أول خط تاريخي كتب في صدر الإسلام إنما كان في علم النسب، وكان على يد أولئك، فعهد إليهم بوضع سجلات الأنساب التي أنشأها الذين أتى بهم الخليفة عمر بن الخطاب وهم، وقد قدم ذلك خدمة جليلة لتطور الكتابة التاريخية عند علماء الإسلام سواء في المادة أو في خطة الكتابة⁴.

3- الشعر والأدب: باعتبارهما من روافد التاريخ الأبرز عند العرب فالشعر مثلاً عدّ ديوان العرب الأبرز، وسجلها الموثوق الذي حفظ أدبهم وتاريخهم وأنسابهم، وهو الذي جعلهم يعرفون القصة التاريخية ويتناقلونها مبكراً، جاعلاً بذلك المادة التاريخية جزء من حياة العرب، فيما أطلق عليه بالتاريخ المنقول بالمشافهة سواء كان ذلك شعراً خالصاً أم نثراً تتخلله الأشعار، والشعر في كلتا الحالتين هو الذي حافظ على تناقل الخبر وانتشاره، كما كان الشعر يمثل السياق القبلي لتدوين التاريخ.

واستمرت العلاقة بين الشعر والخبر التاريخي خلال التدوين التاريخي العربي الإسلامي، فهما توأمان في البناء الهيكلي للخبر التاريخي وعرضه، وظهرت بعض سمات الحس التاريخي من خلال الروايات التي دونت في العصر الإسلامي، ولهذا عد الشعر في نظر كثير من الباحثين رافداً مهماً لا يمكن الاستغناء في الروايات التاريخية، وأبرز الخليفة عمر بن الخطاب مدى أهميته بقوله: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه)، ومقولة ابن عباس: "إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فانه ديوان

¹ -مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1979، ص: 66.

² - ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ت، ص: 86.

³ -أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، د.ت، ص: 548.

⁴ -عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)، 2005، ص: 40.

العرب و به حفظت الأنساب، وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسول الله (ص)، وحديث صحابته التابعين¹.

4- العوامل المستجدة وظهور علمي التفسير والحديث: وكل ذلك دفع بالاهتمام التاريخي عند العرب مراتب مهمة، ومن أبرزها الاهتمام اللافت للخلفاء وذوي السلطان والعلماء بالتاريخ بأشكاله المختلفة ويقصد مباشر أو غير مباشر، كالاهتمام بتفسير القرآن والتعمق فيه والذي عدّ في جوانب كثيرة منه ضرباً من ضروب البحث التاريخي، وكذلك علم الحديث في مضامينه ومنهجه، باعتبار أن الذين تعمقوا في دراستهما تعترضهم عقبات من أبرزها النقص الحاد في كثير من المعارف والمعلومات التي لم يتعمق القرآن ولا الحديث في تفصيلها، مما يضطر متناوليها إلى البحث على ملأ ذلك من مصادر أخرى لإيضاح الصورة.

ومن الأمثلة على ذلك ما فعله كعب الأحبار ووهب بن منبه من خلال عودتهما للتراث العبراني والمسيحي وهو ما أوقعهما في موارد كثيرة، وأن الاهتمام بالسيرة النبوية أثر في ظهور أنماط مهمة للكتابة التاريخية كالسير والمغازي مثلما جاء عند عروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد (ت 123هـ / 740م)، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم (ت 130هـ / 747م)، ومحمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ / 741م)، وموسى بن عقبة (ت 141هـ / 758م) الذي قال عنه الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: (لا يوجد في المدينة أعلم منه في المغازي)، وبعده برز محمد ابن إسحاق _ (ت 151هـ / 761م) كأقدم سيرة تصل إلينا شبه كاملة عن طريق ابن هشام الذي برز أيضا في هذا المجال وغيرهم كثير.

إضافة إلى كل هذا كان للخلفاء وذوي السلطان عموماً دوراً كبيراً في الدفع بالاهتمام التاريخي مراحل متقدمة، فمعاوية بن أبي سفيان مثلاً كان يتسامر في مجمل لياليه في التاريخ من خلال تقريبه في هذا المجال لعبيد بن شريح الجهمي، الذي كتب له كتاباً عنوانه: (الملوك وأخبار الماضين)، وكذلك طلب أبو جعفر المنصور (ت 158هـ) من محمد بن إسحاق الكتابة في السيرة، وكذلك ما كان بين والي اليمن (خالد بن عبد الله

¹ - أحمد الناجي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2342، 2008، محور الأدب والفن.

(القشري) ومحمد ابن شهاب الزهري، يضاف إلى كل ذلك العامل المادي كدافع بارز في تطور الكتابة التاريخية عند العرب، ومن أبرز معالمه ظهور الورق في بغداد سنة (178). وإن شئنا أن نضع قاعدة ارتكاز في ظهور المنهج التاريخي فإن منهج أخذ وتدوين الحديث كان قاعدته الأبرز، باعتبار أن علماء الإسلام قد جعلوا لجمع الحديث منهجا يقوم على أساسين مهمين هم السند والمتن، حيث اعتبر السند معتمد الحديث لأنه يشتد إليه ويعتمد عليه¹، من خلال سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر أو المتن واحدا بعد واحد إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي².

وقد كان سبب ضرورة الأخذ بالسند والسؤال عنه ما مرّ بأمة الإسلام أيام الفتنة الكبرى، ومقتل خليفتي النبي عليه الصلاة والسلام عثمان وعلي رضي الله عنهما أجمعين، حينما فشا الكذب وظهر الوضع في الحديث، وقد قال في ذلك (ابن سيرين) لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فليُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم)، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: (إنا كنا نحدث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه)³.

بمعنى لا يقبل إلا ما يعرف ومن رحم السند ظهر علم الرجال أو ما يعرف بعلم الجرح والتعديل، الذي كان له الوقع الأكبر في التحري وتمحيص ما ينقل من حديث أو أخبار عند علماء الإسلام. أما المتن فهو ما انتهى إليه السند من الكلام بمعنى نص الخبر، واعتبر علماء الإسلام أن العلة التي تكون في السند قد تكون في المتن، ومن هنا فإن منهج الحديث قد انعكس أخرى على نشأة المنهج التاريخي وتطور الكتابة التاريخية فيما بعد.

المبحث الثالث: المنهج العلمي للمدرسة التاريخية العربية:

المتأمل في الكتابة التاريخية عند المسلمين منذ نزول الوحي وإلى غاية عصر ابن خلدون يجدها تعيش انعكاسا لمسيرة تطور الحضارة العربية الإسلامية، حيث عاشت الكتابة

¹ - محمود الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، دار القرآن الكريم، بيروت، د.ت، ص: 157.

² - فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2008، ص: 231.

³ - رواه مسلم في الصحيح.

التاريخية عصر النشأة والتعاظم حينما بلغت مدارج عالية في عصر الإمام الطبري والمسعودي لم تبلغها من قبل، لتبدأ بعدهما بالتقهقر شيئاً فشيئاً مع تقهقر الحضارة الإسلامية حتى أصبح في عصر ابن خلدون (القرن 8 هـ) عقيماً خالياً من كل فائدة، لكن العجيب أنه في ظل هذه الأجواء العائمة التي توحى بأن لا حياة في الكتابة التاريخية من حيث الروح والمنهج المعتمد فيها، بزغ فجر الكتابة التاريخية وبزغت معها أسس الكتابة وقواعد المنهج التي ينبغي أن تكون مختلفة عن أي كتابة تاريخية، سواء في القراءة أو التحري والاستنباط أو الكتابة والتأليف فيه، وهو ما جعل لحظة ابن خلدون لحظة فارقة في تاريخ الكتابة التاريخية ليس عند العرب وحدهم فقط بل للإنسانية جمعها.

ولأنها كانت لحظة خلاقة لفجر كثير من العلوم، شكّلت ابداعاً نادراً في هذا المجال ومجالات أخرى لاحقة، ولكن الذي ينبغي تأكيده هو أنه ما كان لابن خلدون أن يصل لكل هذه المنجزات العظمي لولا تلك القواعد البنائية التي تأسس من خلال منهج تلك النظرية التاريخية، لأن ابن خلدون انطلق في نظريته للتاريخ بأنه ليس مجرد رواية للأخبار بقصد التسلية أو الإثارة أو إحداث الدهشة عند السامعين، بل هو في عمقه (نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق)¹.

فابن خلدون قبل توصله إلى القواعد التي يمكن أن تؤسس من خلالها للرواية التاريخية وتدوينها، قد انطلق من تأمل عميق في الكتابات التاريخية التي سبقته، وكان مفتاحه في ذلك العقل السليم، فوصل أن هناك عوائق كثيرة حالت دون اكتساب الكتابة التاريخية فيمن قبله أصالة ونضجا وإقناعاً، ومردها كلها إلى²:

أ- الانحياز أو التعصب إلى قبيلة أو إلى مذهب معين أو غير ذلك قد حثّم الالتزام به، وهو ما شكل مع الوقت نوعاً من العصبية له جعلته محوراً في الفهم، وبالتالي محوراً في قياس الخبر من حيث القبول أو الرفض، وفي هذه الحالة أصبح ذلك المذهب أو المعتقد هو

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ص: 9.

² - محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، ط.1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص: 23.

الغريبال الذي تصفّى به الكتابة أو نقل الأخبار، وهو الأمر الذي كساها الضعف والتناقض في كثير من جوانبها.

ب- الانقطاع إلى الحاكم أو لذوي السلطان عموماً من قبيل الزلفي لهم، وهو ما جعل الروايات التاريخية وبالتالي الكتابة حولها تحوّر بما يخدم ذلك الانقطاع والزلفي، وهو ما جعل الرواية تبدو ضعيفة مهترئة تغيب فيها الحجة والإقناع.

ج - الاكتفاء بالاعتماد على مجرد ما يروى بدون سابق تمحيص يقيني، يقود إلى الوقوع في الغلط أو الانزلاق في الوهم.

د- المبالغات والولوع بالغرائب كذكر الأعداد والقصص الغريبة، وهو طبع إنساني شكّل سهولة التجاوز على اللسان ومنها التبرير لبعض الأعمال، وكل ذلك عند ذوي الألباب يظهر الضعف من أول لحظة.

هـ - عدم مراعاة قوانين الطبيعة كنقل الأخبار المستحيلة الوقوع، وكذا الجهل بطبائع العمران (أي الظواهر الاجتماعية) وكيفية حدوثها، باعتبار أن للعمران البشري عوارض مثل الطبيعة، ومن عوارضها سنة التطور.

وبعد وقوف ابن خلدون على كل هذه المعوقات في طريق الإقناع التاريخي، ناقش مسألة غاية في الأهمية كان لها الدفع الأكبر في إبداعاته المنهجية في التاريخ، والتي أكد فيها رغم أهمية قاعدة السند المعتمدة في الحديث للتبين والاقناع في مسائل الخبر، إلا ذلك ينبغي له من ضبط بالنسبة للمسائل التاريخية، باعتبار أن منهجية الحديث القائمة على نقد السند عن طريق الجرح والتعديل غير مجدية بمفردها في حصر الحقيقة، لأنه لا فائدة للسند إذا كان الخبر المنقول خرافة، وفي مثل هذه الأمور وقع المؤرخون كالطبري والمسعودي وغيرهما ممن لا يختلف اثنان في عدالتهما مثلما أشار ابن خلدون، واعتبر بأن المرحلة الأولى يجب التأكد ابتداء من إمكانية وقوع الحدث المروي في حد ذاته، وبالوسائل الأنفع والأجدى، ثم يمكن أن نتجه بعد ذلك لمسألة نقد السند كشرط ضروري، وقد ضمن كل ذلك في قوله: (ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع، وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والجرح)¹.

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ص: 4.

بناء على كل هذه المغالط والمعوقات التي وقعت فيها الكتابة التاريخية رأى ابن خلدون بأنه لا ينبغي بأي حال من الأحوال ردّ الصيرورة التاريخية إلى الصدفة والتلقائية، بل هي تجري وفق قوانين وسنن يمكن اكتشافها واستنتاجها إذا أحسنا التأمل في الحوادث التاريخية، وهو ذات الأمر الذي عاشه ابن خلدون من كل أعماقه، فخرج للإنسانية جمعاء برؤى أسست لعلم التاريخ ومهدت بعده لعلوم أخرى نحسبها قد خرجت من رحم الفكر، من خلال تلك السنن التي رأى ابن خلدون بأنها تتحكم في مفاصل البناء التاريخي، وهي عنده أربعة قوانين:

- قاعدة السببية: وهي تعني ارتباط العلة بالمعلول، لأنه ما من حادث إلا وله سبب، فيما يطلق عليه بمبدأ العلية أو السببية كآلية لفهم وتصور الوقائع، وانطلاقاً من هذه المبدأ يمكن تصور طابع ومآل الحركة الإنسانية، وينبغي أن نؤكد بأن تطبيق هذا المبدأ في ظواهر الحركة الإنسانية لا ينطلق فقط من الظاهر المعلوم كتفسير أوجد بقدر ما يتطلب من يقظة في فهم كنه الحركة الإنسانية التي قد تحدث بعيداً عن الظاهر المعلوم، وهو الأمر الذي إذا لم يدركه دارسي التاريخ فإنهم قد يندفعوا بذلك الظاهر في تفسير الأحداث، وينجروا وراء تصور وفهم لا يقود في النهاية إلى إدراك الحقيقة¹.

- قاعدة التشابه: ويعني به قياس الماضي على الحاضر فالظروف المتشابهة تنشئ وقائع متشابهة.

- قاعدة التطور: أي أن الأمور تتطور بتبدل الزمان والأحوال.

- قاعدة المطابقة: وفيه يوجب على المؤرخ النظر في الوقائع والأخبار على ضوء العقل والطبع السليم، فما كان معقولاً أدخلناه في دائرة الإمكان، وما كان غير معقولاً أدخلناه في دائرة الاستحالة وقلنا ببطلانه، لذلك نجد فلسفة ابن خلدون التاريخية تعتمد بشكل جوهري على هذه القاعدة، والتي بها يمكن تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان أو

¹ -مصطفى داودي، "الربيع العربي بين الذات والاختطاف كيف نفهمه"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، العدد: الأول، 2012، ص: 106.

الاستحالة، وهي في جوهرها تعود إلى ضرورة الفهم العميق قبل التأريخ لأصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران¹.

ومن هذا الباب توجه ابن خلدون بكثير الانتقادات لمؤرخين سبقوه في نقل مادتهم التاريخية ومن ذلك تعجبه كيف أن المسعودي ينقل لنا خبر بناء الإسكندرية في قصة بعيدة عن منطق معقول، بل وتعارض قوانين الطبيعة حينما قال بأن الإسكندر لما صدّته دواب البحر عن بناء الإسكندرية، وكيف أخذ صندوق الزجاج و غاص فيه إلى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها و عمل تماثيلها من أجساد معدنية، و نصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت و عاينتها و تم بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاجي و مصادمة البحر و أمواجه بجرمه، و من قبل أن الملوك لا تحمل أنفسهم على مثل هذا الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة و اجتماع الناس إلى غيره و في ذلك إتلافه²، وفي نقله أيضا لقصة تمثال الزرزور بروما والذي تجتمع إليه الزراير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون و منه يتخذون زيتهم، وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت، كل هذه النماذج من نقولات المؤرخين ما كان ينبغي أن تكون لو حققنا مبدأ المطابقة في تقصي الأخبار وتدوينها.

وينبغي أن نؤكد بأن ابن خلدون انطلق لمعرفة السنن الاجتماعية التي يجعل منها المؤرخ معيارا صحيحا يتحرى به طريق الصدق والصواب فيما ينقله، فإذا به يجد نفسه أمام علم جديد هو علم الاجتماع أو العمران البشري، وبالتالي فإنه من رحم التفكير التاريخي ولد علم الاجتماع عند ابن خلدون.

استنتاج:

تعتبر المدرسة التاريخية العربية مجالا غنيا ومعقدا يعكس التفاعل بين الثقافة والفكر العربيين عبر العصور، حيث إن مرتكزاتها الفكرية تشمل مجموعة من المبادئ والقيم التي تشكلت نتيجة لتاريخ طويل من التجارب والتحديات، ومن خلال فحص النصوص القديمة

¹ -محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، المرجع السابق، ص: 26.

² -عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: هيثم جمعة هلال ، ط.1 ، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 2007، ص: 6.

والكتب التاريخية، نجد أن المؤرخين العرب استخدموا منهجيات متعددة في تحليل الأحداث، مما يعكس تنوع الأفكار والمناهج التي سادت في مجتمعاتهم.

المنهج العلمي في المدرسة التاريخية العربية يعتمد على استخدام المصادر الأولية والثانوية، مما يساعد في تقديم رؤية شاملة ودقيقة عن الأحداث، كما يتضمن هذا المنهج التحقق من صحة المعلومات ودراسة السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أثرت على التاريخ العربي، وتتجلى أهمية هذا المنهج في قدرة المؤرخين على بناء روايات متماسكة تسلط الضوء على تأثير الأحداث التاريخية على الحاضر.

هذا وتتجلى المرتكزات الفكرية أيضاً في القيم الإسلامية التي أسهمت في تشكيل الفكر التاريخي العربي، حيث اعتُبرت هذه القيم دافعاً لفهم التاريخ بشكل أعمق، كما ساهمت الفلسفات العربية القديمة، مثل فلسفة ابن خلدون، في تطوير منهجيات تاريخية تركز على دراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي تؤثر في تطور المجتمعات.

وفي النهاية، فإن المدرسة التاريخية العربية ليست مجرد سرد للأحداث، بل هي محاولة لفهم الماضي بشكل أعمق، وتحليل تأثيره على الحاضر والمستقبل، من خلال مراعاة المرتكزات الفكرية والمنهج العلمي، يمكننا أن نُساهم في إغناء المعرفة التاريخية وتطوير الفهم العام للتاريخ العربي.

المحاضرة رقم: 04: عوامل وأسس تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة

الأوربية ما بين القرنين 15 - 19م:

المبحث الأول: التدوين التاريخي في عصر النهضة:

جاء عصر النهضة بتغير واضح في الكتابة التاريخية كجزء من النهضة، أدى هذا إلى تخلص التاريخ من سيطرة الكنيسة وارتباطه بها على أنه تاريخ القديسين وكراماتهم وما تعرضوا له في حياتهم من قسوة تعذيب، وأصبح ينظر للتاريخ كجزء من العلوم الدنيوية مما يعني صيغة بالصيغة الزمنية، ثم أن الكتابة التاريخية تحولت من أيدي رجال الدين إلى العلمانيين، الذين أدخلوا أساليب جديدة في الكتابة ظهرت فيها الحيل الدبلوماسية وتبرير

اللجوء إلى القوة أحيانا، إضافة إلى معادلات للحط من شأن العصور الوسطى بوصفها عصور انحطاط مقارنة مع العصور القديمة التي حظيت بكل التقدير، ثم ظهر الاهتمام بالأسلوب الأدبي وتهذيب المفردات اللاتينية¹.

إن فترة الانتقال من العصور الوسيطة إلى العصور الحديثة يطلق عليها عصر النهضة، وقد تميزت هذه الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر إلى السادس عشر ميلادي بقيام حركة واسعة من أجل إحياء العلوم والمعارف على أساس الرجوع إلى مخلفات الآثار الإغريقية والرومانية القديمة ودراستها، وقد بدأت النهضة الأوروبية²، في مدن شبه الجزيرة الإيطالية وازدهرت فيها ثم انتقلت إلى الدول الأوروبية، وتعد حركة الكشف الجغرافية والإصلاح الديني والصراع المذهبي تتابع للنهضة الأوروبية³.

لقد أعطت الحيوية التاريخية رقما جديدا في مطلع النهضة كما تلقت مسلكية حقيقية وقد عهدت الأمراء الشؤون الدولية، التي آلت أن صارت إنشاء تاريخيا، وقد أصبحت إيطاليا مكان المصدر لهذه الصيغة الجديدة من التاريخ، فكان أن أصبح الكثير من الفلاسفة الإنسانية، في القرنين الخامس والسادس عشر، أمثال أريتان، وبوج، ولوران فاللا، ديامبو، مؤرخين، مهنيين الطريق لمعلمين كبيرين هما: غيشاردان وميكانيكي⁴.

وقد أوجب القصص التاريخي تسلسل الأفكار، وبالتالي تسلسل الأحداث وأصبحت اللغة المستعملة أشد تمسكا وأكثر نضجا، حتى أن بعضهم عاد إلى اللغة اللاتينية وفي

¹ - ميمونة مبرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، دار الخليج، عمان، 2010، ص: 24.

² - النهضة الأوروبية: تعرف بحركة التجديد والبحث والإحياء للحضارة القديمة اليونانية واللاتينية، كما توصف بتلك التحولات التي حدثت في أوروبا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية، كما تعرف بتلك التغيرات التي طرأت على المجتمع الأوروبي في الفترة الواقعة بين العصور الوسطى والعصر الحديث، أي بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، ويذهب البعض في وصفها بأنها حركة إحياء الدراسات القديمة وظهور الفكر العقلاني، وقد ظهرت في إيطاليا قبل غيرها ثم انتقلت إلى البلدان الأوروبية الأخرى، للمزيد أنظر: فتح الدين بن ازواو، محاضرات في النهضة الأوروبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2016-2017، ص: 19.

³ - أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار واتا للنشر الرقمي، قطر، 2002، ص: 12.

⁴ - قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص: 24.

خارج سرد التفاصيل المستفردة المغرية بجمالها، يتحول الفكر نحو البحث عن الأسباب وبدأت العقلانية تغزو التاريخ وتستبعد عن المدهش والمغاير الطبيعية وما هو من ضروب الأعاجيب¹.

وأول ما يمثل طلائع النهضة هو ما ظهر بإيطاليا في نهاية العصور الوسطى، أي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، وقد بدأت تزحف هذه النهضة إلى عدد من بلدان أوروبا المجاورة، وكانت المعرفة العربية الإسلامية إحدى العوامل المؤثرة في تحريك دوافع النهضة ومصدرا من مصادر الفكر، وذلك بما قدمته بالمعايير المختلفة كالحروب، ومن حقلية الإسلامية، وجنوب إيطاليا، وأهمها بلاد الأندلس، ومن أبرز خصائص النهضة حركة إحياء التراث اليوناني والروماني القديم، الذي قرأ عنه الأوروبيون في كتب العرب المسلمين ولم يجدد في هذه الحالة الوثنية التي كانت تخصها الكنيسة من أجل مصالحها الذاتية فتغيرت نظرة الناس إلى هذا التراث ومن مظاهر التطور في كتابة التاريخ انتقال².

بدأت الثقافة في العصور الوسطى بخلفية محددة وإن كانت ذابلة من المعرفة الكلاسيكية، وقد خضعت تدريجيا لمتطلبات الحياة الفكرية وانعكست هذه الاتجاهات في الكتابة التاريخية في فترة الانتقال من العصر القديم إلى العصر الوسيط، ففي الدور المعتمد من عصر ثيودوريك إلى عهد شارلمان، ظهر المؤرخون عبورا في كتاباتهم عن بقايا الطابع الكلاسيكي والأخذ في الزوال مثلما عبروا عن الاتجاهات الدينية والسياسية التي سادت مجتمع العصور الوسطى المبكر³ مع التطور السياسي الذي حدث في غرب أوروبا في القرنين الثاني والثالث عشر.

تلك المرحلة التي يمكن أن يطلق عليها عصر الحروب الصليبية وعصر البابوات العظام أو البابوات رجال الدولة، قامت تلك النهضة الثقافية التي يطلق عليها اسم النهضة القرن الثاني عشر ميلادي والدراسات المدرسية، وخلال مرحلة نهضة القرن الثاني عشر

¹ - المرجع نفسه، ص 23.

² - عبد الله طه عبد الله السلمي، منهج البحث التاريخي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009، ص: 58.

³ - هاري المز بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمان برج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، الجزء الثاني، ص: 87.

استحوذ الغرب الأوروبي على المنجزات الثقافية التي عرفها اليونان والعرب، وفي نفس الوقت الذي اعتري فيه شرق أوروبا وبمعنى آخر الدولة البيزنطية تدهور ثقافي في كثير من النواحي استحوذ الغرب الأوروبي على الدراسات القديمة وأخذ في تطوير ثقافة الخاصة، وأحي الغرب دراسات العلوم والقانون والأدب الكلاسيكي القديم، وأخذ في تدريسها في مدارس الكاتدرائيات وكذلك في المؤسسات العلمية الجديدة، ونقصد بذلك الجامعات، كما حدث تطور كبير ملحوظ في الآداب الوطنية الفرنسية والألمانية والانجليزية والبروفنسالية والإيطالية، وفي الوقت الذي كان فيه الأدب في البلاد المجاورة وظهرت أعظم المؤلفات الأدبية التي عرفها الغرب في العصور الوسطى في مدينة فلورنسا، إيطاليا، ونقصد بذلك الكوميديا الإلهية لدانتي. والكتابة والتدوين من أيدي رجال الدين إلى أيادي العلماء العلمانيين، وصبغ التاريخ بالصيغة الزمنية والتحرر من قيود الكنيسة ومناقشة رجال الدين في كتابة التاريخ، وخاصة الثقافة العامة وذلك صحب تطور في اللغات القومية التي أخذت تفرض نفسها على ثقافة النهضة¹.

أما القرن السادس والسابع عشر فقد شهدا دخول عنصر جديد في الكتابة التاريخية إذ ظهرت حركة الكشف الجغرافية لتجعل أوروبا تتصل بحضارات المكسيك وبيرو وجزر الهند الغربية وجنوب إفريقيا، فكان أن أثارت هذه خيال المؤرخين فانتسح مجال البحث التاريخي يشمل العادات والآداب والنظم السياسية والاجتماعية وهي مجالات لم تكن معروفة خلال العصور الوسطى التي لم تتبع خلالها سوي الحوليات وتواريخ رتيبة متشابهة.

كما أدت الكشف الجغرافية إلى تغيرات اقتصادية من حيث ظهور الرأسمالية وتطورها وتمر الطبقة الوسطى وتدهور الإقطاع أفاد طبقة على حساب أخرى، وكان العمال من ضحايا هذا التغيير، فنشط البحث في أصول ومسوغات الشرائح والحكومات على أساس أنها مسؤولة عن هذا الوضع المتردي، ففي إنجلترا ساد اعتقاد أن الفتح النورماندي هو سبب الكوارث التي حلت بالفن حيث خلال القرن السابع عشر فاتجه المؤرخون يبحثون في ماهية هذا الفتح بشكل دقيق.

¹ - عبدالله طه عبدالله السلمي، مرجع سابق، ص: 57.

المبحث الثاني: أبرز مؤرخي عصر النهضة:

1- دانتي ألبجيري (1265-1321م) ولد في فلورنسا، من أشهر مؤلفاته "الكوميديا الإلهية" والتي استمت بطابعها الأدبي كما كان لها أبعاد سياسية وإصلاحية، ركز فيها عن العدالة الإلهية التي لم تفرق بين الأمير والبابا والفقير والغني¹، كما كتب كتاب "الملكية" باللغة اللاتينية، والذي احتوى على مجموعة من الأفكار السياسية والذي طالب فيه بوجود سلطة زمنية، وعدم تدخل السلطة الدينية (الكنيسة) في الشؤون السياسية، أي الفصل التام بين هاتين السلطتين، وكتب كتاب آخر بالإيطالية سماه "الوليمة" شرح فيه مسائل السياسة والحكمة والأخلاق والحب²، ويمكن القول أن نظرية دانتي في هذا الكتاب هي إقامة دولة القانون التي تمثلها الإمبراطورية الرومانية المقدسة لا دولة الجمهورية والحرية.

إن دانتي من المؤرخين الأوائل الذين دعوا إلى إحياء لغة محلية وإقامة دولة قومية، وكان لأفكاره المتعلقة بالفصل بين السلطتين الدينية والزمنية صدى في تبني المفكرين من بعده لفكرة الإصلاح الديني، كما تأثر "ميكافيلي" بدعوته لإقامة دولة قانون، وبذلك يمكن القول أن دانتي كان جسرا فكريا انتقلت به أوروبا من العصر الوسيط إلى العصر الحرية والذي دشنه بفكره السياسي الذي يؤمن ب: "دولة قوية وإبعاد الكنيسة عن الحياة السياسية إضافة إلى إقامة السلام وتجنب الحروب".

2- نيقولا ميكافيلي (1469-1530م): سياسي إيطالي ولد في فلورنسا في أسرة سياسية، درس في مجال القانون والأدب الإغريقي والتي أتاحت له العمل في المجال السياسي، بحيث أن آراءه السياسية صدمت الوسط الفكري، حيث قدم للعالم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة والذي قام من خلاله بالفصل بين السياسة والأخلاق.

¹ - دانتي ألبجيري، الكوميديا الإلهية، ترجمة: كاظم جهاد، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص: 15.

² - دانتي ألبجيري، الكوميديا الإلهية "الفردوس"، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، 1119، ص، ص: 12-13.

ومن أبرز مؤلفاته "الأمير" الذي بين توجه ورؤى هذا المؤرخ، والذي تحدث من خلاله عن أعز الحرب، وتاريخ فلورنسا، اكتسب هذا الكتاب أهمية استثنائية في تاريخ الفكر السياسي¹.

وهو أول من اتبع منهج جديد عن سابقه القائم على دراسة التاريخ وملاحظة الواقع، والحق أن ميكافيلي أوتى من نفاذ البصيرة بالعوامل التاريخية التي تحرك التطورات السياسية، حيث أدرك العلاقة بين التيارات السياسية الداخلية والخارجية وبين الأنشطة العسكرية والتطورات السياسية في فلورنسا، وتحمس لفكرة تحقيق الوحدة الإيطالية وقيام دولة موحدة².

3- توماس مور: 1478-1535م: ولد في لندن درس القانون بجامعة أكسفورد، مصلح سياسي واجتماعي، من أشهر كتبه "يوتوبيا"، أي علم الكمال الذي تخيل منه مدينة العدل والسلام على العمل المنظم وتجنب الحروب، وحل المنازعات بالحيلة والذكاء، إضافة إلى تحدثه عن قوانين مدنية كحرية العقيدة والتملك، وكان هدفه من هذا الكتاب "تحديد الملكية في الوقت الذي كانت فيه الحملة عنيفة بين النظامين الرأس مالي والاشتراكية، كما حاول من خلال هذا الكتاب إظهار القيم والمبادئ الاجتماعية التي تسير عليها العامة والحاكم³.

4- فولتير: هو فرانسوا ماري الملقب بفولتير، ولد في عام 1694م في باريس⁴، بدأ هذا الكاتب ينظم أبيات الشعر منذ تعلمه القراءة والكتابة، تتلمذ في صغره على يد اليسوعيين في مدرسة مشهورة تابعة لأشهر ملوك فرنسا "لويس الرابع عشر".

¹ - إسماعيل نوري الربيعي، "صناعة الزعيم" قراءة في العقل الميكافيلي، دفاتر السياسة والقانون، العدد: 8، جانفي 2013، ص-ص: 156 - 159.

² - هاري المز بارنز، مصدر سابق، ص: 157.

³ - توماس مور، يوتوبيا، ترجمة: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1987، ص، ص: 18-19.

⁴ - فولتير، كنديد، ترجمة: عادل زعيتير، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2017، ص: 10.

إن مؤلفات فولتير التاريخية بعيدة عن الأفكار الزائفة والتملق، فالتاريخ عنده بهدف الاستفادة منه لاستنارة العقل، حيث كان ينظر إلى العصور الوسطى على أنها عصور مظلمة.

اهتم لكتابة التاريخ لدراسة أحداث الماضي والاستعداد منها في الحاضر والتنبؤ بالمستقبل حين ألف كتابه المعنون بـ "التفاعل" الذي تحدث من خلاله على زلزال شتدوا عام 1755م، تعد كتابا فولتير بمثابة نقطة تقول من التاريخ التقليدي إلى التاريخ العلمي، وقد ظل مرشدا لعقول المتفكرين¹.

5- ديفيد هيوم: يعتبر من أكبر أقطاب المذهب التجريبي الكلاسيكي الذي ترعرع على الجزر البريطانية، ولد في 26 أبريل 1711 في اسكتلندا، تولت أمه عنايته بعد وفاة والده، عمل كتاجر لمدة قصيرة ثم ترك العمل وسافر في عام 1751م، تعرف على كل من الاقتصادي الكبير "آدم سميث" والفيلسوف "جان جاك روسو"، ثم عاد في 1726م، وأكب على قراءة المؤلفين القدماء والمحدثين خاصة "بيكون وشيشرون" ودرس القانون ليعترف مهنة أبيه، كما ألف كتابه الشهير "مقال في الطبيعة البشرية" في سنة 1737-1739م الذي كان من أدق كتبه وأوفاهما².

¹ - فولتير، مصدر سابق، ص: 12.

² - زكي نجيب محمود، ديفيد هيوم، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2021، ص: 20.

*آدم سميث: فيلسوف وعالم اقتصادي، هو من أسس علم الاقتصاد الكلاسيكي، للمزيد ينظر: مها دحام، آدم سميث (فيلسوف وعالم اقتصاد)، الحياة والمجتمع، 27 أكتوبر 2022، ص 06:19.

*فرانسيس بيكون: فيلسوف وعالم ورجل دولة، للمزيد ينظر: تمام طعمة، "نبذة عن فرانسيس بيكون، تعليم وأعلام"، 28 أوت 2021، ص 11:51.

*جان جاك روسو: كاتب وأدبي وفيلسوف وعالم، ومن أهم كتاب عصر التنوير، للمزيد ينظر: دنيا مصطفى، "جان جاك روسو، الحياة والمجتمع"، 3 جويلية 2019، ص 11:26.

*شيشرون: هو فيلسوف وسياسي روماني، وأعظم خطباء الرومان قاطبة (206-43 ق.م) للمزيد ينظر، أحمد علي عجيبة، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004، ص: 73-74.

خلاصة القول أن مؤرخي عصر النهضة ساهموا في نقل الكتابة التاريخية من مجالات الأسطورة والتفسيرات الدينية إلى مجال النقد العلمي، معتمدين بذلك على التحليل والأدلة، كما ساهموا في تقديم مناهج جديدة لقراءة التاريخ من خلال التركيز على الإنسان كعنصر مركزي في صناعة التاريخ، مما مهد الطريق لنشوء فلسفة حديثة وتفكير علمي، والذي أدى بالكتابة التاريخية نحو التطور.

المبحث الثالث: عوامل تطور الكتابة التاريخية:

من أبرز عوامل تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة نذكر:

الالتقاء الأوروبي الإسلامي من خلال محطة الأندلس التي كانت قبلة لطلاب العلم ومنطلق ترجمة العلوم العربية الإسلامية إلى اللغات الأوروبية، فعندما أراد الأوروبيون إلقاء رداء الجهل عن أكتافهم اتجهوا إلى المسلمين يتعلمون منهم، لأنهم لم يجدوا غيرهم للعلوم يستضاء به، فكانت مدن الأندلس قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليلطة، مراكز تجذب إليها طلاب العلم من شتى البقاع¹، وقفة مجيء الأوروبيون لإسبانيا وتلقيهم العلوم في جامعاتهم أمر مشرف به، باعتبار أن الأوروبيون وخاصة الغرب الأوروبي كانت معلوماتهم في مسار العلوم محدود حتى نهاية القرن الحادي عشر للميلاد الخامس الهجري، ولم تكن تتجاوز مختصرات "إيزيدور" وبعض مؤلفات قدامى الرومان.

فكان من الطبيعي أن يتجه هؤلاء إلى مراكز العلم في ذلك العصر، ولن يجدوا ملجأ للارتقاء من ذلك المنهل غير بلاد الإسلام وبلاد الأندلس خصوصاً باعتبارها أنهم أهدوا إلى الغرب اللاتيني هباتهم في ميادين العلم والفلسفة، فطليلطة عاصمة الشعر الأوسط لما دخلها النصارى وجدوا في مسجدها مكتبة عربية حافلة بالكتب، وقد بلغت شهرة من حيث

¹ - بشير رمضان التليسي، جمال هاشم النويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص: 350.

هي مركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال، مما جعل طلاب العلم ينجذبون من كل الأنحاء للاستفادة من الدراسات الإعلامية وثقافة المسلمين¹.

وكذلك من خلال ترجمات المؤلفات التاريخية إلى اللغات الأوروبية ومن هذه العلوم علم التاريخ من خلال ترجمة بعض الأعمال التاريخية إلى اللغات الأوروبية، وقد كان لهذه الحلقة التأثير المباشر على تشكل فكر تاريخي أوروبي جديد لأنهم وجدوا الهوة واسعة بين الكتابة التاريخية عند المسلمين وكتاباتهم الملكية بالتغيير والقراءة التاريخية، ومن أبرز الأعمال المترجمة نجد: كتابات ابن أصبغ المؤرخ الأندلسي المشهور أحمد بن محمد، الذي كان أدبياً وشاعراً وخطيباً بالتاريخ لكثرة أشغاله بكتابة التاريخ، وما تبقى من كتب التاريخ يأتي في طليعتها كتابين "مساك الأندلس" وكتاب "أخبار ملوك الأندلس"، وهذه القطعة من تاريخ الرازي المعروفة تتألف من ثلاث أقسام الأول صفة الأندلس ونص إسباني الذي ترجمه رجل تجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية، والقسم الثاني من هذا باللغة اللاتينية وعنوانه تاريخ إسبانيا منذ وصول اتيان بن ياخت إليها إلى دون رودريغو (الملك لودزيق ومعركته الأخيرة مع القائد طارق بن زياد)، أما القسم الثالث يتناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر الحكم المستعمر وهو أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر لكتاب الرازي².

ومن العوامل كذلك بداية استقرار الوضع السياسي في أوروبا، بالحديث عرفت أوروبا ابتداءً من القرن الحادي عشر ميلادي بداية استقرارها السياسي والاجتماعي والثقافي، خصوصاً وأن الأخطار والتحديات التي كان يمثلها الفايكينج والمجر قد انتهت، كما أن ضغوطات الجبهة الإسلامية في الأندلس وصقلية قد انتهت واتكأت حول نفسها، وباتت في مرحلة دفاع بحث دون أي استعادة للمبادرة والقيام بحملاتها المعهودة، كل هذا الوضع شجع الأوروبيون على استعادة المبادرة وإعادة المفقود فسقطت صقلية في أيدي النورمان، كما أن حواضر الأندلس الكبرى باتت في يد المسيحيين خاصة طليطلة وقرطبة وما تبقى لهم في

¹ - توماس أرنولد، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1972، ط2، ص: 105.

² - ينظر: محاضرة مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019، 2020، ص: 52.

الأندلس كله إلا مملكة غرناطة، كما خاض الأوروبيون حروبهم الصليبية ضد المسلمين وسيطروا على بيت المقدس وجزء من بلاد الشام وباتت الثروة في متناول يدهم وهي أولى الضرورات لبناء حضارة عظيمة.

هذا وقد اغتنمت مدن كثيرة في أوروبا بسبب بداية تحكم أوروبي للتجارة، ومع هذا الاستقرار الذي يعتبر أمراً عظيماً في التقدم والتطور الحضاري بدأت العقلية الأوروبية تتغير وتتضح سواء في الرؤية السياسية المستقبلية، التي بدأت تنتقل من الأنانية الذاتية والعنصرية العرقية والجغرافية إلى ما هو أكبر من ذلك وهو التقارب السياسي، وذلك ما تلمحه في الكثير من التحالفات بين الأمراء والملوك من الأنانية الذاتية والعنصرية العرقية والجغرافية إلى ما هو أكبر من ذلك وهو التقارب السياسي، وذلك ما تلمحه في الكثير من التحالفات بين الأمراء والملوك الأوروبيون، ومن أبرز هذه التحالفات الذي تهمنا في دراستنا هو تحالف ملكة قشتالة إيزابيلا مع ملك أرجون فردناند وما نتج عنه قوة أوروبية كان لها أبلغ الأثر في تغيير مجرى الكثير من الأحداث لصالحها، وسواء في الجانب الاجتماعي الذي بدأ يتغير مجرى يسر المعيشة وزيادة الخيرات ينتقل عبرها المجتمع الأوروبي من الفقر والعيش في الأكواخ إلى نوع من التحضر والاهتمام بالمدن، وكل ما يجلب وسائل الراحة والطمأنينة¹.

إضافة إلى يقظة الفكر الأوروبي والتحرر من سلطان الكنيسة، حيث بدأت أوروبا بفعل تحررها الفكري تحقيق وجودها الجديد الذي بدأ ينبثق على الرغم من ضغط الكنيسة، والكتاب هناك يعملون فعلاً، ولم تكن لتمهد حتى يتسول في أوروبا الوسيطة اتجاهاً جديداً في الحياة هو الاتجاه العلمي وغداً جو أوروبا مشحوناً بالحماس، وما كان لهذا الحماس وهذا التحرر الفكري أن يحقق طموحاً بالأحلام بل لا بد من الاستفادة بما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تطور، فقد شعر الأوروبيون بالتأخر العلمي والحضاري الكبير، فكان لزاماً عليهم العمل

¹ - نفس المرجع، ص: 54.

من أجل اللحاق بالركب الحضاري، ولن يكون ذلك إلا بتقبل جوهر هذه الحضارة إلى لسانهم حتى تكون الاستفادة أبلغ وأعمق¹.

كما وجد نوع من الاتصال الثقافي بين المسلمين والأوروبيين، فقد أفاقت أوروبا صوت فلاسفة وعلماء الإسلام يدرسون هذه العلوم في مساجد إشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها، وكان الرواد الغربيون الأوائل الوافدون إلى مدارس المسلمين شديدي الإعجاب والشغف بكل ما يستمعون إليه من هذه العلوم في جو من الحرية لا يعرف له مثلي في بلادهم، ففي الوقت الذي كان فيه علماء يتحدثون في حلقاتهم العلمية ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويتها وحركات الأفلاك والأجرام السماوية، كانت عقول الأوروبيون تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كلها.

وقد أفسحت الأمم الأوروبية صدرها للحضارة والعلم العربي واستطاعت أن تفرق بين العلم والسياسة، فبينما كانوا يحاربون المسلمين سياسياً، كانوا يفسحون صدورهم للعلماء المسلمين ثقافياً، فالتاريخ يدلنا على أن عدداً من حكام قشتالة، كانوا يحيطون أنفسهم بعلماء مسلمين، ويستخدمون مسلمين ويستمعون إلى موسيقى مسلمين، وكذلك فرديريك الثاني إمبراطور ألمانيا الذي كان من أنصار ابن رشد، بل كان سنداً قوياً لمترجمي فلسفة ابن رشد في أوروبا، وكان الإمبراطور نفسه يعرف اللغة العربية، تعلمها عن عربي في صقلية، وكان في بلاطه حركة نشطة ليهود يشتغلون بترجمة الفلسفة العربية وخصوصاً فلسفة ابن رشد، وفلكيون يشتغلون بالرصد بملابسهم البغدادية، وكان ينصر تعاليمهم على الكنيسة².

وتعتبر الأندلس من أعظم المنابع الحضارية التي أخذ منها الأوروبيون، باعتبار أنها وصلت ابتداءً من القرن العاشر الميلادي إلى أعلى مراتب الحضارة والتطور، وغدت قرطبة إحدى عواصم العالم الكبرى بسلطانها الذين زادوا على مليون نسمة، ومنازلها التي زادت على

¹ - ستان وولد كب، بالرجوع إلى محاضرة مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور 2019-2020، ص: 58-59.

² - إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1980، ط1، ص، ص: 80-81.

مائتي ألف مسكن، وأضواء شوارعها الليلية التي لم تعرف مثلها مدينة لندن إلا بعد سبعة قرون من ذلك ونتيجة تسامح الإسلام.

كما أن الاستشراق أو الدراسات الاستشراقية مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على حركة فكرية واسعة النطاق متعددة الجوانب، يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمة الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام بصفة خاصة¹، وكان طموح المستشرقون في مقابل العمل على إضعاف الإسلام من داخله هو التمهيد للعمل التبشيري الذي كان استراتيجية كبرى لرجال الحديث في بداية عصور النهضة، فجامعة إشبيلية قامت بقصد دراسة اللاتينية والعربية، والمعروف أن هذه المحاولة جاءت نتيجة لجهود الرهبان الدومينيكان الذين أخذوا يعدون أنفسهم منذ سنة 647هـ/1250م لدراسة العربية، حتى يتمكنوا من القيام بجهود تبشيرية هدفها نشر المسيحية بين المسلمين والاستفادة من علومهم وحضارتهم².

إضافة إلى عامل ظهور شخصيات مميزة: ليوناردو دافينشي، مايكل أنجلو، كريستوف كولمبو، فاسكو ديجاما، إسحاق نيوتن، ديكارت، كوبرنيكوس، جاليلو، وقد كان لهم الفضل الكبير في تطور نمطية الكتابة التاريخية، بما كانوا يكتبونه ويسجلونه من أحداث ورؤى شخصية.

إضافة إلى أن كان لحركة الكشوفات الجغرافية تأثير كبير، وإن كان غير مباشر على الكتابة التاريخية، وذلك نظرا لما صاحب هذه الحركة من تغيرات فكرية واجتماعية، وكان لهذه الحركة نتائج مباشرة في الكتابة التاريخية التي كتبها أولئك الذين تناولوا موضوع الكشف، حيث بدأت معهم الكتابة التاريخية تنتقل من طريقة الحوليات التي لم تعد مناسبة بالنظر للحوادث التاريخية المعالجة، والتي تتطلب وصفا شاملا لا مجرد تأريخ الحدث، ومس التأثير الشكل والأسلوب، وامتدت الكتابة في وصف سلوكاتها، وظهر أثر الكشوفات أولا في أدب الرحلات الذي أنتجه رحالة العصور الوسطى ومغامروها في القرنين 13 و 14

¹ - أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص: 103-104.

² - عزوز علي، "المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام من خلال دراساتهم للفقهاء الإسلاميين"، مجلة الصراط، العدد: 06، 2004، ص: 235.

الميلادين ومن أشهر هؤلاء: ماركو بولو عن رحلاته (1254-1324م)، كريستوفر كولومبوس، واللافت على كتاب الرحلات أنهم يكثرُوا من تمجيد الغزاة.

كل الظروف كان لها بالغ الأثر على تطور الكتابة التاريخية انطلاقاً من عصر النهضة الأوروبي الذي كان الشعار فيه: (العودة إلى النص)، ثم القيام بالمقارنة والنقد والتمحيص، وظهرت بذلك مدرسة النقد التاريخي وعلى رأسها (فال)، والذي تصدى للرواية التاريخية المعروفة ستة 1940 "بهبة قسطنطين الكبير"، والتي عهد فيها البابوات بحكم روما وإيطاليا كلها، ولكن (لوروتروفا) برهنا على أن هذه الوثيقة زائفة¹.

¹ - مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019-2020، ص، ص: 67-68.

المبحث الرابع: خصائص الكتابة التاريخية في القرن 19م:

في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر، شهد العالم الأوروبي نهضة فكرية وفنية ودينية، انتقد خلالها دعاة الإصلاح الديني من البروتستانت انحرافات الكنيسة الكاثوليكية، وسعى الإنسيون جاهدين إلى التخلص من حياة وفكر العصر الوسيط عبر إحياء التراث اليوناني والروماني القديم، وقد مثلت الكتابة التاريخية جزءاً من عملية هذا الإحياء، فقد توسع حقل التدوين التاريخي خارج رجال الإكليروس، وحل الحدث السياسي ومسؤولية الحكام محل المشيئة الإلهية وتدخل القديسين فيها، ولعل أول من مثل هذا التحول في الفكر السياسي والتاريخي الأوروبي كتابات نيكولا ميكافيلي (1469-1527م) وجان بودان (1530-1596م) وطوماس هوبز (1588-1679م).

هذا وقد تحول التاريخ إلى دراسة لسياسة الحكام والملوك، فأضحى جزءاً من سياسة المدنية وحقه يفيد في ممارسة السلطة، وقد تزامنت هذه التحولات مع التغيرات الجديدة التي عرفت أوروبا بصفة عامة، فقد تفككت أسس النظام الإقطاعي تدريجياً، وازداد دور المدن في الحياة السياسية والاقتصادية، ومعها انتعشت الطبقة البرجوازية التي بدأت تتطلع إلى السلطة لحماية مصالحها التجارية، إن انتشار الفكر القومي وبداية تشكل نظام الدولة الحديثة مع نهاية القرن السادس عشر ساهم في هذا التغيير، فالدولة الحديثة بدأت تنفصل شيئاً فشيئاً عن الفكر الديني وترتكز على المذهب العقلاني، وحلت السلطة المدنية محل السلطة الدينية، وأصبح الولاء أولاً وأخيراً للحاكم وللسلطة الملكية ولمؤسسات الدولة.

إلى حدود القرن السابع عشر سير الفرسان والأبطال الملوك تحتل الجزء الأكبر من اهتمامات الكتاب، لكن بشكل أقل حدة بالمقارنة مع الفترة السابقة، ثم التحرر نسبياً من الكتابات التي تركز على الشخصيات الجسام وعلى مفهوم العناية الإلهية، إلا أن الخطوط العريضة هذا النمط التقليدي ظلت حاضرة في بعض الكتابات التاريخية، ولم تتراجع بشكل

نهائي إلى بعد قيام الثورة الفرنسية، حيث خفت بشكل كبير التأثيرات الدينية والمستقيمة في كتابة التاريخ¹.

ففي مرحلة القرن الثامن عشر ميلادي يعتبر مونتيسكيو أول من حرر التاريخ من التصورات الميتافيزيقية، استبعد دور المصادفة والحظ، ودافع عن وجود عوامل وقوانين متنوعة تؤثر في تواريخ الأمم، كالمناخ والموقع الجغرافي، والمذهب الديني، ونوع الأخلاق تواريخ جميع الأمم لم تعد تشكل في نظره سوى تنمة، فكل قانون خاص يرتبط بقانون آخر أو يتعلق بقانون أعلم، هذا هو اكتشاف مونتيسكيو: "لا ابتداءات تفصيلية بل مبادئ شاملة تسمح بفهم كل التاريخ البشري وكل تفاصيله".

كما اهتم فولتير بدوره خلال نفس الحقبة بدراسة التاريخ كحقل جديد يتخطى فيه البحث التاريخي سيرة الأمراء والوزراء والجنرالات، لينفتح على مجالات المكان والأخلاق والاقتصاد والتجارة والصناعة لدى الأمم والشعوب، سنتطرق مع هذا الفيلسوف على مفهوم تاريخ الأمم كبديل عن تاريخ الملوك والبلاطات، إن التاريخ في نظر فولتير هو التاريخ الاقتصادي والديمقراطي وتاريخ التقنيات وتاريخ العادات، وليس فقط التاريخ السياسي والعسكري والديبلوماسي، وهو أيضا تاريخ الأمة وليس فقط تاريخ الملوك والعظماء، إنه تاريخ البنى وليس فقط تاريخ الأحداث، إنه التاريخ الكمي.

هذا المشروع كان الانطلاقة الأولى للتاريخ الجديد، وقد تعهده كل من شاتو بريان وفيزو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بالرعاية، ولهذا نجد جاك لوغوف هؤلاء الثلاثة من الآباء الأوائل للتاريخ الجديد، لقد أزاحت في العصر الحديث كتب التاريخ الطبيعي الكلاسيكيات من على رفوف مكتبات النبلاء والبرجوازيون الأثرياء، وجميع الدراسات تشير إلى هبوط كبير في الأدب الديني أثناء القرن الثامن عشر، هذا ما أكدته دراسات فرنسوا فورييه وميشل فوفيل، فخلال هذه الفترة التي أطلق عليها عصر الأنوار بفرنسا لم يعد يخشى بالأبطال، ففولتير دعا إلى ضرورة الاهتمام بتاريخ البشر بدلا من معرفة جزء من تاريخ الملوك والبلاطات والمعارك، سواء كان الحدث معركة أو معاهدة سلام أو تنويعا

¹ - خالد طحطح، الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2012، ص: 70.

أو زيارة سفير، فليس هناك في نظر شخص مثل فولتير من حدث إلا الحدث السياسي، وهكذا على تجاوز هذه الرؤية الانفرادية للتاريخ على دمج تغيرات المكان، والاقتصاد والأخلاق والقوانين¹.

المبحث الخامس: القومية والكتابة التاريخية:

إن حركة التوسع الأوروبي كان لها أثر كبير على تاريخ الشعوب كونها دافعا قويا على تطور العلم الحديث، بل كانت القوة الرئيسية التي ساعدت على خلق دول قومية حديثة وذلك في أواخر العصور الوسطى، هذا إلى جانب حركة التوسع الأوروبي التي ساهمت في حدوث نشاط هائل من قبل الكاتبيين والمؤرخين في زيادة إنتاج الكتب التي تمجد كل دولة وتاريخها القومي، إضافة إلى جمع الوثائق التي لا تقدر بثمن لتسجيل تاريخ كل دولة منذ ماضيها البعيد، وبالرغم من أن المرحلة المبكرة لحركة الجمع والنشر والتي بدأت منذ القرن السادس عشر، إلا أنها أخذت شكلها الجديد بعد أن أسهمت الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية، وحركة بعث روسيا بدرجة كبيرة في خلق شعور قومي قوي في معظم الدول الأوروبية².

وكان لمذهب التحرر أثر على الكتابة التاريخية خاصة على البلدان التي لم يكن نظامها ملكي ولا اتجاهاتها استبدادية، وازداد اتجاه التحرر خلال القرن السابع عشر عند ظهور الثورات، ويتضح أثر مذهب التحرر على نشأة التاريخ القومي في كتابات العديد من المؤرخين أمثال: روتيك، كونيت، موتلي، جرفنوس وآخرون³.

وفي منتصف القرن 19 بالضبط في سنة 1854م ظهر كتاب بعنوان "بحث دول عدم تكافؤ الأجناس البشرية" للمؤلف جوزيف آرثر والذي تحدث من خلاله عن تأثير السلطات

¹ - نفس المرجع، ص، ص: 71-72.

² - هاري إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، مصدر سابق، ص: 5.

³ - المصدر نفسه، ص: 6.

على التطور التاريخي، بحيث لقي هذا الأخير انتشارا وقبولا بين جماهير المؤرخين والساسة القوميين في ألمانيا¹.

ساهمت كل من القومية وحركات التحرر في أوروبا خلال عصر النهضة إلى التغيير بشكل كبير على الكتابة التاريخية، حيث دفعت إلى تغيير الماضي وإعادة صياغة التاريخ بما يخدم الأهداف الوطنية والاستقلالية، حيث أصبحت الكتابة التاريخية آنذاك أداة التكوين الهوية الوطنية ووسيلة لانتقاد الهيمنة.

المبحث السادس: الكتابة التاريخية القومية في ألمانيا:

بدأت الكتابة التاريخية الأولى على أساس قومية في ألمانيا على عهد المدرسة الإسبانية وعهد الإمبراطورية القديمة، وذلك أن الإمبراطور ميكسيمكان سار عل نفس نهج شارلمان في جمع كبار علماء المدرسة الألمانية، كما عمل كونراد بعده على سبيل إحياء الاهتمام بكتاب "جرمانيا" للمؤلف تاكييتوس.

وفي سنة (1473-1529م) قام يوحنا بدراسة ناقدة لأعمال تاريخية لكل من (جوردان وأوتو)، وغيرهم من الفلاسفة والمؤرخين الباحثين الذي كانوا يدنون التاريخ آنذاك، وإذ كان نشاطهم سرعان ما طغى عليه الجدل الخاص بحركة الإصلاح الديني، مما أدى إلى فتور اهتماماتهم بالتاريخ العلماني والقومي².

أما عن حركة جمع المصادر التاريخية الألمانية فقد بدأها سيمون (1535-1573م) يوحنا (1546-1608م)، وفريهر ماركارد (1565-1614م)، إضافة إلى جولداسن 1578-1635م، والذي جمع في كتابه عن أباطرة الدولة الرومانية عدد كبير من الوثائق التي تتعلق بتاريخ ألمانيا، وظل هذا الكتاب يمثل خير مجموعة للوثائق التاريخية الأولى الألمانية حتى

¹ - إباد علي ياسين، "التدوين التاريخي في ألمانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر"، آداب الرفادين، العدد: 54، 2008/04/29، ص: 13.

² - هاري إلمر بارنز، مصدر سابق، ص: 7.

ظهر كتاب "الوثائق الخالدة" الذي تناول نفس الفترة، واحتوى على نفس المادة لكن بطريقة أكثر إتقاناً¹.

ثم ظهر الفيلسوف جوتفريد (1646-1716م) الذي حاول جمع مصادر التاريخ الألماني في كتاب، ولكن لم يتلقى المساعدة اللازمة من الإمبراطور لإتمام مشروعه، فتخلى عنه وأنتج كتاب آخر بعنوان "دوليان برونزويك الخاصة بالإمبراطورية الغربية"، حيث ظهر هذا الكتاب ما بين (1707-1711م)، وهو مستخلص مما كتبه عن أسرة برونزويك، وأكد على ضرورة نسخ المصادر كما هي دون إدخال أي تعديل أو تصحيح عليها.

وإضافة على ذلك نذكر المجموعة الكبرى الحديثة والتي جمعت مصادر تاريخ ألمانيا فهي تحمل اسم "الوثائق الخالدة عن التاريخ الألماني"، حيث تحدثت عن روح حرب التحرير، وبدأ كتابتها رجل من أبرز رجال السياسة في عصره وهو "هنريش"، والذي كرس كل طاقته للاهتمام بالتاريخ الألماني مدفوعاً إلى ذلك بعاطفة الحب نحو الأرض التي نشأ عليها أجداده وأبائه، كما أنه أنشأ مركز "الوثائق التاريخية الألمانية"، والذي كان نقطة تحول في تطور الكتابة التاريخية العلمية، حيث أنه فتح الطريق أمام أجيال من المؤرخين².

كما أن المؤرخ فردريك ويلكن لجأ إلى كتابة القصص القومية التي تمد بسالة الألمان في الحروب الصليبية، وذلك في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) والذي ظهر ما بين (1807-1802م)، إضافة إلى هينريك لودن الذي ألف كتاب معنون بـ "تاريخ الشعب الألماني"، وذلك ما بين 1780-1874م.

إضافة إلى كل هذه الكتابات يوجد العديد من المؤرخين الذي ساهموا في كتابة وتدوين التاريخ القومي الألماني منهم: المؤرخ "فون والمؤرخ لودنيغ ودنكر، الذين تحدثوا في كتبهم عن حروب الثلاثين سنة حرب التحرير، وكذا عن سياسة ألمانيا³.

¹ - إيداد علي ياسين، مرجع سابق، ص: 15.

² - هاري إلمر بارنز، مصدر سابق، ص: 8.

³ - نفس المصدر، ص، ص: 9-10.

كل هذه الكتابات تظهر لنا كيف تطورت الكتابة التاريخية في ألمانيا وذلك لنشر أفكار القومية، وقد استخدمت هذه الأفكار في مختلف الحقب، إضافة إلى أن بعض المؤرخين الألمان في تلك الفترة سعوا إلى إبراز فكرة "الأمة الألمانية"، أي أن ألمانيا موحدة وتمتلك تاريخا واحدا مشتركا وثقافة واحدة فريدة، مثل الكاتب "الدولف شميدت" والمؤرخ "بوستاق" و"هنريك فون" وغيرهم من حاولوا صياغة روايات تاريخية تدعم الوحدة الألمانية والطموحات السياسية في ألمانيا.

استنتاج:

في ختام الحديث عن تطور الكتابة التاريخية في عصر النهضة يمكننا تلخيصها في نقاط رئيسية، والتي تميزت بها هذه الفترة، والتي جعلتها مرحلة فاصلة في التدوين:

1- تميز التدوين التاريخي في عصر النهضة بالانتقال من الكتابة ذات الطابع الأسطوري والديني إلى الكتابة أكثر موضوعية ونقدية، حيث أصبح التاريخ يعتمد بشكل أكبر على البحث العلمي والتحقق من المصدر.

2- من أبرز المؤرخين في عصر النهضة نجد دانتى ألبجيري"، والتي كانت معظم كتبه لها طابع أدبي وأبعاد سياسية وإصلاحية، "وتوماس مور" الذي اتسمت كتبه بمظهر سياسي يتخلله المبادئ والقيم الاجتماعية.

3- كانت هناك عدة عوامل ساهمت في تطوير هذه الكتابات في هذه الفترة من أهمها: الاتصال الثقافي بين المسلمين والأوروبيين الذي ساعد على توسيع ونشر الأفكار، والتواصل مع الحضارات المختلفة.

4- من الخصائص البارزة للكتابة التاريخية في عصر النهضة، أنها بدأت تبتعد عن الطابع الديني والقصصي، متجهة نحو أسلوب تحليلي ونقدي قائم على المصادر الموثوقة والأدلة المادية.

5- أما بالنسبة للعلاقة بين القومية والكتابة التاريخية، فقد شهد عصر النهضة بداية تشكل الهوية القومية، حيث استخدمت الكتابات التاريخية لتعزيز المشاعر القومية وتأكيد الهوية الوطنية، وقد ظهرت بشكل خاص في ألمانيا، حيث حرص المؤرخون الألمان على توثيق تاريخ بلادهم وإبراز إنجازاتهم.

6- ختاماً، يمكن القول إن تطور الكتابات التاريخية في عصر النهضة كان بمثابة خطوة حاسمة نحو بناء أسس التاريخ الحديث، حيث أرسيت مفاهيم جديدة للكتابة التاريخية التي تأخذ في الاعتبار التحقق من الحقائق، وتحليل الأحداث بموضوعية وتأكيد الهوية القومية.

المحاضرة رقم: 05: المدرسة المادية التاريخية:

المبحث الأول: تعريفها وأصولها ومفكرها الرئيسيون:

1-تعريفها:

تعتبر المادية التاريخية هي النظرة العلمية التي تتناول تفسير قوانين تطور المجتمع، وهذه القوانين هي قوانين موضوعية مستقلة عن الوعي الإنساني، وهذه القوانين شأنها شأن قوانين الطبيعة القابلة للدراسة والمعرفة، وبالتالي تفتح إمكانية للإنسان أن يسيطر عليها بسلوكه وعمله ويطوره من أجل سعادة الطبقة العاملة. معنى هذا أنها علم يفسر لنا كيفية تطور القوانين الاجتماعية، فهي نظرية سوسيولوجية استخدمها ماركس في دراسته للمجتمع، لتحليل جوانبه المادية وقضية الإنتاج الاقتصادي، وهو أساس دراسته أن المادة أو الوجود هما أصل ظهور الوعي أو التفكير، فهي بالتالي تبحث عن القوانين العامة و القوى الدافعة لتطور المجتمع الإنساني بصورة عامة، ودراسة تاريخ المجتمعات و الشعوب، وتاريخ تغير وتطور النظم الاقتصادية والاجتماعية.

وتعتبر المادية التاريخية أن علاقات الإنتاج تشكل أساس كل مجتمع الذي تقوم عليه البنية الفوقية، هذان المستويان يتعلقان في الواقع بشكلين متميزين من النشاط الاجتماعي، فالإنتاج المادي هو الموضوع الأساسي للنشاطات على المستوى الأساسي الاجتماعي، والإنتاج الأيديولوجي والإنتاج الفني والإنتاج العلمي هو الموضوع الأساسي للنشاط على مستوى البنية الفوقية الاجتماعية.

وقد اعتبر كارل ماركس أن المادية التاريخية هي تطبيق للمادية الجدلية على الحياة الاجتماعية والسياسية، فاستنتج ماركس من التطور التاريخي وما تخلله من نظم اجتماعية بأن كل نظام اجتماعي يحمله في داخله بذور فنائه، ففي كل نظام اجتماعي تنشأ قوى تناهضه وتقاتله حتى تقضي عليه وتزيله لتنشأ مكانه نظاما جديدا، وفي هذا النظام الجديد تنشأ قوى جديدة تناهضه حتى تقضي عليه وتقيم مكانه نظاما جديدا آخر، وهكذا يستمر التاريخ بتقديم نظم اجتماعية في حلقات متصلة قائمة أساسا على التناقض، متبلورة في

الصراع بين الطبقات، فهذا يعني أن المادية التاريخية هي تطبيق الأفكار الديالكتيكية على حياة المجتمع، وهي تاج تطبيق المنهج الجدلي على التطور التاريخي للمجتمع¹.

وقد عرّف حسام الدين فياض في كتابه كارل ماركس وعلم المجتمع أن المادية التاريخية "هي : العلم الذي يبحث عن القوانين العامة و القوى الدافعة لتطور وتغير المجتمع الانساني، ولا يقتصر موضوع المادية التاريخية على دراسة تاريخ المجتمعات و الشعوب وكيفية تطور نظمها الاجتماعية و الاقتصادية التي ظهرت خلال فترات تاريخية معينة من تطور المجتمع الإنساني، ولكن أيضا تشمل المادية التاريخية على دراسة قوانين الحياة المعاصرة لمختلف الدول والنظم سواء كانت رأسمالية أم اشتراكية، ودراسة قوانين الحياة الاجتماعية والبشرية بصورة عامة"².

كذلك قد وضعت أميرة حلمي مطر في كتابها الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس مفهوم آخر عن المادية التاريخية إذ هي : "النظرية العلمية التي تتناول تفسير قوانين تطور المجتمع، وهذه القوانين هي قوانين موضوعية مستقلة عن الوعي الإنساني، وهذه القوانين شأنها شأن القوانين الطبيعية القابلة للدراسة والمعرفة، وبالتالي تفتح إمكانية الانسان يسيطر عليها بسلوكه وعمله ويطورها من أجل سعادة الطبقة العاملة. ومن هنا يدخل ماركس فكرة الضرورة الى الحرية بحيث لا يجوز أن نفهم احدهما بغير النظر إلى الأخرى، لأن التطور يسير بمقتضى قوانين موضوعية، ومعرفة هذه القوانين تساعد في التدخل في سيرهما، ولذلك الماركسيون الحرية بأنها معرفة الضرورة الموضوعية واستخدامها في صالح الانسان.

¹ - رانيا معيوف، مفهوم الثورة عند كارل ماركس، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة غربية حديثة و معاصرة، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2021-2022، ص، ص: 52-53 .

للمزيد من التعريفات بالمادية التاريخية، ينظر: مجلة مخاطر ديدوش محمد، زيات فيصل، آليات التحليل الماركسي، أنظر: ص-ص: 223-224، أيضا: كيلله كوفالسون، المادية التاريخية، أنظر: ص: 20، وأيضا: بودوستيك وسبيركين، عرض موجز للمادية التاريخية، أنظر: ص-ص: 6-7.

2- حسام الدين فياض، كارل ماركس وعلم المجتمع، ط1، الناشر: نحو علم اجتماع تنويري، (د م ن)، 2017، ص: 5.

والمادية التاريخية تتمسك بتفسير المادي للمجتمع و التاريخ ففي راي ماركس و إنجلز أن شكل المجتمع ونظمه المختلفة و تطوره إنما هي محدودة بطرق الإنتاج المادي الذي يسير عليها هذا المجتمع و تطور هذه الطرق يؤدي الى تطور المجتمع"¹.

2- أصولها:

لن نستطيع دراسة جميع أولئك الماديين ومذاهبهم، لهذا فإننا سنكتفي بالظاهرين منهم، الذين يحددون المعالم، والذي وصل في نهايته الى كارل ماركس .

نبدأ عند سان سيمون SAINT SIMON الذي يعتبر من ألمع رجال الفكر الثوري في فرنسا بل أوروبا كلها، عاش فيها ما بين سنتي (1760_1825)، فهو من الممهدين للثورة الفرنسية وصانعي فلسفتها، وهو يحسب في العادة بين علماء الاجتماع و الاقتصاديين، وكان يحسب أنه يستطيع بتحليل المجتمع تحليلًا فيزيائيًا أن يجعل من التاريخ علماً يقينياً كغيره من العلوم الطبيعية، ولكي يصل الى ذلك عكف على دراسة تاريخ أوروبا منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية، واهتدى إلى أن التاريخ يلخص في متصل بين العاملين (من زراع و صناع)، ويسميهم بالطبقة الثالثة Tiers- Etat والطبقتين الممتازتين اللتين تستفيدان من جهود العاملين، وهما طبقة النبلاء (النبلاء ورجال الاقطاع) وطبقة الدين والإكليروس².

وبذلك يكون سان سيمون أول من تنبّه إلى صراع المصالح الاجتماعية، أو مصالح الطبقات الاجتماعية هو السبب الرئيسي في الحرك التاريخية.

وفي هذا الطريق سار أحد نبهاء تلاميذ سان سيمون وهو أوجستان تييري (1795-1856) الذي يعد من المؤرخين الرومانتيكيين، وكان إلى جانب اهتمامه بالتاريخ والاجتماع

1- أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط5، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة ، 1995، ص: 108، 109.

2- حسين مؤنس، التاريخ و المؤرخون: دراسة في علم التاريخ ماهيته و موضوعاته ومذاهبه و مدارسه عند أهل الغرب و أعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1984، ص: 112.

قصاصا، وقد عاش بعد أحداث الثورة الفرنسية، وتحمس لمبادئها تحمسا شديدا واستهواء نظام الكومون **LA COMMUNE PARISIENNE**، أي الحكومة المحلية الاشتراكية التي قامت في العاصمة الفرنسية أثناء الثورة، وهي أول تجربة في تنظيم الحكم على أساس اشتراكي متطرف، وألف في ذلك كتابا من أربع مجلدات سماه " **مجموعة وثائق غير منشورة عن تاريخ الطبقة الثالثة** " (1850 - 1870م)، فسّر فيه التاريخ على أنه صراع بين الطبقات ومصالحها، وقال فيه "أن الطبقة العاملة هي أساس الإنتاج و مصدر الثورة، وإنها كانت دائما في كفاح مع الطبقات القوية المستبدة للوصول إلى حقوقها"¹.

وشبيهه ما نقرأه عند تييري وهو **فرانسوا مينييه** (1796-1884م) الذي كان مؤرخا وأمين محفوظات وصحفيا وثوريا ومناضلا، كتب مينييه كثيرا جدا، ولكن تاريخه للثورة الفرنسية الذي صدر في مجلدين سنة 1791م الذي أصدرته حكومة الثورة الفرنسية "كان هذا الدستور من صنع الطبقة الوسطى **LA BOURGEOISIE** التي كانت أقوى الطبقات في ذلك الحين. إذ أن القوة السائدة كما هو معروف تسيطر على المؤسسات والنظم، وكان يوم 10 أغسطس 1792م انتفاضة جماهير الناس ضد هذه الطبقة الوسطى وضد الملكية الدستورية، كما كان يوم 14 يوليو 1789م انتفاضة الطبقة الوسطى ضد الطبقات المتميزة، وضد الحكم الملكي المطلق .

وهذه العبارة تهمنا هنا بصفة خاصة لأنها ترينا أن كارل ماكس لم يكن أول من تنبه إلى الدور الحاسم لحرب الطبقات وصراعها على السلطان في توجيه التاريخ².

3- مفكرها الرئيسيون:

- **كارل ماكس**: هو فيلسوف يهودي ألماني ولد في مدينة "تريف" إحدى مدن بروسيا من أسرة متوسطة عام 1818م، واعتنق المسيحية وتعلم في جامعات بون و برلين و كولونيا، وأظهر نبوغا في الدراسات التاريخية والاقتصادية والقانونية، عمل صحفيا، غير أن

¹ - حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، المرجع السابق، ص: 113.

² - حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، نفس المرجع، ص: 114.

نزعته الثورية أدت إلى تعطيل الصحف التي عمل بها، كما شارك في الحركات الثورية بأوروبا كثورة عام 1848م ، وكان إنجلز يتفق مع ماركس في الروح الثورية، وفي الاتجاه للدعوة الاشتراكية. ومن بروكسل زار باريس وكانت إقامته فيها سببا في توثيق صلاته بالاشتراكيين الفرنسيين، وأخيرا استقر به المقام في إنجلترا، حيث توفي عام 1883م.

وقد كتب عدة مؤلفات وأشترك مع إنجلز في إصدار البيان الشيوعي الذي انتقدا فيه الرأسمالية والاشتراكية الزائفة، وحرضا فيه العمال على الثورة تحت شعار "اتحدوا يا عمال الأرض"¹.

- **فريدريك إنجلز**: شهدت الحياة المهنية لإنجلز بداية مشرقة، ففي سن السابعة عشرة نشر له بعض الأعمال الشعرية، وفي السن الثامنة عشرة كان صحفيا تنسم مقالاته بالنقد اللاذع، الأمر الذي أدى إلى نفاذ طبعة كاملة من إحدى صحف مدينة هامبورج التي كان يكتب لها، وكان عمله "رسائل من فوبرتال" الذي نشر في ربيع عام 1839م هجوما مثيرا على النفاق في بلدي إلفريد وبارمن الممتدتين بمحاذاة وادي نهر فوبر، وتلك هي منطقة رينلاند التي ولد فيها فريدريك إنجلز في الثامن والعشرين من نوفمبر عام 1820م، ونظرا لأن عائلة إنجلز كانت على مدار أجيال عائلة ثرية تمتلك مصانع، فقد استخدم إنجلز الشاب إسما مستعارا، وبالرغم من ذلك لم تكن هويته المرادفة لاسمه المستعار "أوسفالد" بسر محجوب عن أصدقائه، وبمجرد أن انكشفت تلك الهوية السرية ظهرت الشخصية الجديدة للغاية لإنجلز الذي قال "كل ما كتبه كان مبنيا على بيانات مثبتة شهدتها بعيني أو سمعتها بأذني"².

المبحث الثاني: مبادئها الأساسية:

¹ - جاسم سلطان، أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات القادة (د، م، ن)، (د، س، ن)، ص: 83.

² - تيريل كارفر، إنجلز مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2017، ص: 13.

للمزيد من المعلومات على كارل ماركس ينظر: محاضرات بن بلقاسم صبرا إيمان، مدخل إلى علم الاجتماع، أنظر: ص: 20. أيضا: فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، أنظر: ص - ص: 111 - 112، وأيضا: مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، أنظر: ص: 250.

المادية الديالكتيكية: تأتي كلمة ديالكتيك من DIAEGO الإغريقية، وتعني المجادلة، المناقشة، في العصور الغابرة كان الديالتيك فن التواصل إلى الحقيقة عن طريق كشف التناقضات في مجادلة الغريم والتغلب على هذه التناقضات، كان ثمة فلاسفة في العصور القديمة اعتقدوا أن كشف التناقضات في الفكرة و تصادم الأفكار المتناقضة أنها أفضل وسيلة للتوصل إلى الحقيقة، هذه الطريقة الديالكتيكية في الفكر امتدت فيما بعد إلى الظواهر الطبيعية وتطورت إلى الأسلوب الديالكتيكي لتفهم الطبيعة. الأسلوب الذي يعتبر الظواهر الطبيعية في حركة دائمة وتطراً عليها تغييرات دائمة، يعتبر تطور الطبيعة نتاجاً لتطور الظروف في الطبيعة نتيجة التفاعل المتبادل بين قوى الطبيعة المتضادة، وعموماً فإن الديالكتيك في جوهره هو النقيض المباشر للميتافيزيق¹.

المادة التاريخية وعلاقتها بالاقتصاد:

يرى كارل ماركس "أن تحليل أي حدث أو ظاهرة تاريخية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية لا يمكن تفسيره و كشف حقيقته دون إرجاعها على العوامل الاقتصادية"².

ومن هنا، عند الوقوف على مسار أو تركيب الشعوب، على الباحث أن يكون ملماً بالعلوم الاقتصادية لأنها تؤدي إلى فهم أفضل لتحديد نوع الحكم و مستوى الرخاء، والعلاقة القائمة بين التجمعات السكانية، وتحديد السياسة الداخلية و الخارجية لنظم الحكم، لأنه غالباً ما كانت الأسباب الاقتصادية هي طبيعة العوامل التي تدفع الشعوب والحكومات إلى الحروب و غزوات الهيمنة على أنواعها³.

وتأتي المادية التاريخية على جملة من المبادئ أهمها:

1- جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة: حسيق قوجمان، (د، د، ن)، (د، م، ن)، (د، س، ن)، ص: 06.

2- أحمد زاوي، رشيد مياد، "المدرسة الماركسية وتفسيرها للظاهرة التاريخية"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، مجلد: 1، العدد: 2، جامعة يحي فارس، المدينة، 2021، ص: 05.

3- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص: 61 .
للمزيد من التفاصيل عن: علاقة الاقتصاد بالمادية التاريخية ينظر: هاشم يحيى الملاح، الفصل في فلسفة التاريخ: دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، أنظر: ص-ص: 339-340.

- "إن الطريقة التي ينظم بها إنتاج الحاجات المادية، هي العامل المحدد في نهاية التحليل (EN DERNIERE INSTANCE) للتاريخ البشري .
- نمط الإنتاج هو المحدد للتاريخ والأشكال الاجتماعية المتنوعة، ونمط الإنتاج هو تداخل بين قوى إنتاج معينة (أرض، مال،.....، مصنع،....)، وعلاقات إنتاج معينة (أصناف علاقات الشغل بين مالكي وسائل الإنتاج من جهة، والكادحين الذين يستخدمون تلك الوسائل الإنتاجية مثل العلاقة بين مالك العبيد و عبيده، أو بين المالك العقاري و الخماس ، أو بين رجل الأعمال الرأسمالي والأجير).
- تضطلع البنى الفوقية (المؤسسات السياسية، الأفكار، الدين،) بدور هام في تطور المجتمعات، لكنه دور غير حاسم (مثال: الخلاف بين ماركس وماكس فيبر حول العلاقة بين البروتستانتية و الرأسمالية: أيهما الأسبق؟).
- الفاعلون الرئيسيون في التاريخ هم المنتجون المباشرون، أي العمال، أما عظماء الرجال من سياسيين وعسكريين ومفكرين فدورهم أقل أهمية.
- ظهور الطبقات الاجتماعية كان وليد الملكية الفردية لوسائل الإنتاج وفي مقدمتها الأرض، وعلاقة هذه الطبقات بعضها ببعض هي علاقات صراع.
- الدولة هي جهاز في الطبقة المهيمنة اقتصاديا وليست جهازا محايدا أو فوق الطبقات.
- صراع الطبقات سيؤدي إلى ديكتاتورية البروليتاريا، وإلى قيام المجتمع الخالي من الاستغلال ومن الطبقات ومن الدولة.
- تعتبر الماركسية نفسها نظرية في خدمة طبقة البروليتاريا لأن انحيازها الطبقي هذا لا يتناقض والموضوعية، لأن البروليتاريا ستسود المجتمع يوما، وتصبح آنذاك قادرة على تحديد القوانين العلمية للتاريخ والمجتمع.
- المجتمع ينقسم إلى طبقات اجتماعية ولكل طبقة أيديولوجيتها، والإيديولوجيا تحمل جانبا علميا وجانبا غير علمي¹.

1- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ط1، دار التنوير للطباعة و النشر، لبنان، 2013، ص، ص: 126،

المبحث الثالث: البنية التحتية و البنية الفوقية (شرحهما):

يصف كارل ماكس البنية الفوقية والبنية التحتية في صورة مجاز معماري، ويحدد العلاقة بينهما، البنية الفوقية في مفهومه الإيديولوجيا والدين و السياسة والثقافة والقانون، أما البنية التحتية أو القاعدة فهي القوى الاقتصادية والاجتماعية والعلاقة المتغيرة بينهما، البنية التحتية في كل مجتمع هي نظام العلاقات الاقتصادية (قوى وسائل الإنتاج)، والبنية الفوقية هي النظام الثقافي متجسدا في مؤسسات المجتمع الثقافية (السجد، التعليم، القانون، الفن....)، تحدد البنية التحتية طبيعة ووظيفة الممارسات والإنسان الفردية وأساليب العيش، فالبنية الفوقية ليست واقعا مستقلا بذاته، بل هي إنتاج الوجود الاجتماعي والحياة المادية¹.

يوضح آرثر إيزابرجر في كتابه النقد الثقافي بحيث : "يعطي فريديريك إنجلز الذي تعاون مع ماركس في تأليف عدد من الأعمال أهمية أكبر للاعتبارات الاقتصادية، مما يعطيه بعض الماركسيين الآخرين، ويقول في هذا الصدد مايلي : "إن ثمة حقائق جديدة أدت حتميا إلى فحص جديد لكل التاريخ الماضي، إذ اتضح أن كل التاريخ الماضي باستثناء المراحل البدائية، كان التاريخ صراع الطبقات، حيث كانت هذه الطبقات المتصارعة منتجة داما لأساليب الإنتاج والتبادل، باختصار، منتجة الشروط الاقتصادية لزمانهم، إذ إن البنية الاقتصادية للمجتمع هي التي تقيم الأسس الحقيقية التي بها يكون في مقدورنا أن نصل إلى التفسير النهائي للبنية الفوقية في كليتها، المؤلفة من السلطة التشريعية والسياسية، وأيضا الأفكار الفلسفية والدينية وغيرها من الأفكار لفترة تاريخية معينة"².

ومن المرجح من ذلك بحيث ذكر أنطونيو غرامشي في كتابه " قضايا المادية التاريخية " بقوله: "تشكل البنية مع البنى الفوقية " كتلة تاريخية" واحدة، بمعنى أن المجموع المركب والمتناقض والمتناثر للبنى الفوقية هو انعكاس لمجمل علاقات الإنتاج الاجتماعية. من هنا، فإن إيديولوجية شمولية هي الإيديولوجية الوحيدة القادرة على التعبير، عقليا، عن تناقض

1- ثورية برجوج، "المهاد المعرفي للنقد الثقافي: الماركسية، الفرويدية، العدمية"، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد: 5، العدد: 3، جامعة الوادي، الجزائر، 2022، ص: 206.

2- آرثر إيزابرجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص: 82.

البنية وإدراك اجتماع الظروف التي تسمح بإحداث الانقلاب في الممارسة. وإذا ما التحمت الإيديولوجية بفئة اجتماعية متناسقة بنسبة 100 بالمئة، فهذا يعني أن معطيات هذا الانقلاب متوافرة هي أيضا بنسبة 100 بالمئة، أي أن "العقلاني" بات حقيقيا في الواقع الراهن. يعتمد هذا التحليل على التفاعل الضروري بين البنية و البنى الفوقية (وهذا التفاعل هو العملية الجدلية الحقيقية) ¹.

المبحث الرابع: ظهور المادية التاريخية:

بما أن المادية التاريخية تؤلف جزءا من الفلسفة الماركسية، فإن ظهورها ككل ارتبط بكليتها بظهور المادية التاريخية²، زيادة على ذلك فإن ظهور النظرية الماركسية أكثر من مجرد دعوة لسحق المظالم المرة لنظام المعامل المتطور، بل أكثر من مجرد طريق ودعوة كل اشتراكي، وذلك نتيجة وقائع الحياة المؤلمة التي جرت في أسوأ وأبشع أيام الثورة الصناعية، حيث أطلع ماركس على كل مجاوريه من سكان الأحياء الفقيرة المزدحمة بالسكان في لندن، وكيف كانوا يعيشون على القليل ممّا يسد رمقهم، حيث شاهد شدة وطأة اقتصاد يتوسع ويفرض نفوذه على الناس فرضا، كما شاهد الإرهاب والإعدام يبرره ضحاياها، ثم عدم نجدة هؤلاء الضحايا المساكين والأخذ بأيديهم ككائنات بشرية خوفا من سلطة الرجال الذين يملكون المعامل، والذين يسيطرون على مقدرات الحكومة التي يعيشون في ظلها³.

إلا أنه على الرغم من ذلك أقام كارل ماركس نظريته الصناعية على ظروف القرن التاسع عشر، حيث العامل هو عامل يدوي كادح مطحون لا يكاد يجد لقمة⁴، إضافة إلى ذلك "أن الماركسية تأسست من أجل القضاء على السلطة البرجوازية السياسية، وإقامة

1- أنطونيو غرامشي، قضايا المادية التاريخية، ترجمة: فواز طرابلسي، ط2، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2018، ص: 68.

2 - كوفالزون كيللي، المادية التاريخية، دار الجماهير، دمشق، 1967، ص: 19.

3- نورة كطاف هيدان، "النظرة الماركسية: الأسس والتقييم"، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، العدد: 05، الجامعة العراقية، (دس،ن)، ص: 402.

4- نفس المرجع.

ديكتاتورية البروليتاريا، فالماركسية فقط تستطيع تنظيم الطبقة العاملة، ويشيع فيها انضباط جديدا ويتقفا ويحميها من نفوذ فوضى البرجوازية¹.

والجدير بالذكر أنها جاءت عندما رأت الرأسمالية تسيطر وتهيمن على كل شيء، لهذا ظهرت للقضاء على الرأسمالية السائدة وعليه يظهر مجتمع انتقالي وقيام المجتمع الشيوعي².

واستنادا على ما سبق ذكره، فقد اعتمدت النظرية الماركسية عند ظهورها على جملة من الأفكار بطبيعة الحال، نذكر منها ما يلي:

- إن المجتمع الحديث يتكون من بنائين هما: البناء الفوقي SUPER
STRUCTURE والبناء التحتي INFRA STRUCTURE.

- تبنت على الاعتقاد الأيديولوجي، ومن وجود فكرة الصراع CONFLICT IDEA والتي توجد بين الطبقات الاجتماعية.

- إلغاء الملكية الفردية أو الخاصة، وتحويل كل وسائل الإنتاج إلى الملكية العامة حتى يسود نوع من التكامل و المساواة الاجتماعية .

- يجب أن تقوم الطبقة العمالية (البروليتاريا)، وتأخذ بزمام المبادرة من أجل السيطرة على المجتمع.

- إن تحديد علاقات الإنتاج PRODUCTION RELATIONSHIP، بين من يملك الطبقات الرأسمالية وبين الطبقات العمالية التي لا تملك، لا يمكن أن تستمر إلى الأبد كما هي، ولكن بعد إلغاء الملكية وظهور الملكية العامة، يجب على الطبقة العاملة (الأغلبية) أن تسيطر على وسائل العمل والإنتاج والمجتمع ككل، وتصبح هذه الطبقة في صورتها الجديدة وهي طبقة البروليتاريا³.

1- عبد القادر منصوري، جميلة بن عباس، الدولة عند كارل ماركس، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة اتصال ونظريات الترجمة، جامعة عبد الحميد ابن باديس، 2014، 2015، ص: 33، 34.

2- نفس المرجع.

للمزيد ينظر: سيف أفانا، أسس الفلسفة الماركسية، أنظر: ص: 151 .

3- محمد عبد الرحمن عبد الله، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص: 121، 122.

المبحث الخامس: مراحل تقسيم التاريخ:

ابتدأت هذا الحقل "الماركسية والتاريخ" بدل "المادية التاريخية" عن قصد، حتى لا تضيع نظرة ماركس الحقيقية إلى التاريخ أو تفقد طابعها الفعلي، تقدم الستالينية نظرة ماركس إلى التاريخ على أساس لوحة ستالين الشهيرة بتسلسل: المشاعية، العبودية، الإقطاع، الرأسمالية، فالاشتراكية، كل تشكيلة مؤلفة من بنية فوقية و بنية تحتية، و طبقات (عدا المشاعية) وتتميز بصراع طبقي، وتصل كل تشكيلة بنمو القوى المنتجة إلى نقطة لا تعود علاقات الإنتاج تتلاءم معها، فتمزقها، لتنشأ تشكيلة جديدة¹.

وهذا ما عبر عنه ماركس من خلال تقسيم التاريخ إلى مراحل:

- 1- **عصر المشاع البدائي:** فالحياة البدائية يعيش فيها الإنسان مطلقاً، بحيث لا ملكية لأي شيء، ويعيش بقدر حاجته، ويرى ماركس أن هذا النموذج قد تعدته البشرية بسبب الظلم الواقع فيها، حيث أراد صنف من الناس أن يمتلك وسيلة الإنتاج وهي الأرض التي تخرج له الزرع و الطعام وتحتفظ له بالماء و النبات، ولأن الأرض تحتاج من يخدمها ويقوم عليها فقد بدأ استعباد الناس.
- 2- **عصر العبودية:** إن سيطرة البعض على الأرض، اقتضت أن يستعبد الناس العمل من أجل ذلك، فنشأت الطبقات من الناس من يزرع ويكدح ومن يجني ثمار هذا العمل دون تعب ظلماً و جوراً، و بالتالي انقسم الناس إلى طبقتين:
 - أ- طبقة السادة .
 - ب- طبقة العبيد².
- 3- **عصر الإقطاع:** بعد تطور قوى الإنتاج و اختراع أدوات الزراعة و الصناعة البسيطة، بدأت تظهر طبقة الإقطاع (مالكي الأرض)، وزادت مساحة المستعبدين، فبالإضافة للعبيد

1- عبد الجبار فالح، ما بعد ماركس؟، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2010، ص: 66 .

2- حامد الزهرة، فلسفة الثورة عند كارل ماركس، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تاريخ الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح، قالمة، 2015. 2016، ص: 36.

الذي يتم شراؤهم، يوجد الفلاحون الذين يأكلون من الأرض بقدر ما يملؤون بطونهم والباقي يذهب إلى السلطة. وبذلك أصبح المجتمع منقسماً إلى ثلاث طبقات:
أ. طبقة الإقطاعيين.

ب. طبقة الفلاحين.

ت. طبقة العبيد¹.

4. عصر الرأسمالية: ومع قوى الإنتاج و حلول المصانع الكبيرة والتجارة محل الزراعة، بدأت تظهر الطبقة البرجوازية لتحل محل الإقطاع، ويبدأ صراع جديد بين هذه الطبقات وطبقة العمال².

فالرأسمالية قد نشأت في أوروبا الغربية (بريطانيا و فرنسا) بالتضاد مع الإقطاع، واقتربت بثورات سياسية حادة، بل دامية في السويد، حصل الانتقال تدريجياً إلى الرأسمالية بتسويات، ومن دون ثورات، وفي اليابان تولت الميجي الإقطاعية بنفسها بناء الرأسمالية، ويلاحظ أن إمكانات التطور في التاريخ تتخذ أشكالاً عديدة:

-تطور ارتقائي، تدريجي EVOLUTION .

-تطور قطعي RUPTURE .

-تطور خطي (تراكمي، صاعد باتجاه واحد) LINEAL .

-تطور دوري (ارتدادي، ومتقدم في آن) CYCLICAL .

إن هذا التنوع في أنماط التطور يعني تعذر وضع وصفة واحدة للتاريخ، لمساره وأشكال تجليه³، فهذا التطور حسب ماركس، تحدده علاقات الإنتاج التي تقوم بتحديد جميع العلاقات التي توجد بين الناس في حياتهم الاجتماعية، وأما علاقات الإنتاج فيحددها وضع القوى المنتجة⁴.

إن ظروف الإنتاج إذا أخذت ككل تكون الكيان الاقتصادي للمجتمع، وهذه هي القاعدة المادية التي يقام عليها بنیان القوانين والأنظمة السياسية التي ترجع إليها بعض أشكال

¹ - جاسم سلطان، أداة فلسفة التاريخ، المرجع السابق، ص: 85.

² - حامد الزهرة، فلسفة الثورة عند كارل ماركس، المرجع السابق، ص: 37.

³ - فالح عبد الجبار، ما بعد ماركس؟، المرجع السابق، ص، ص: 68، 69.

⁴ - حامد الزهرة، نفس المرجع، ص: 37.

الوعي السياسي¹. يقول ماركس في الإنتاج: "لا يؤثر الناس في الطبيعة فقط، بل يؤثر بعضهم في البعض الآخر أيضا، فهم لا ينتجون إلا بالتعاون فيما بينهم ومن أجل أن ينتجوا يدخل بعضهم مع بعض في صلات وعلاقات معينة، ولا يتم تأثيرهم في الطبيعة، أي لا يتم الإنتاج إلا في حدود هذه الصلات والعلاقات الاجتماعية"².

إن تاريخ الحياة الاقتصادية للبشر يكشف عن ميول طبيعية وثقافية نحو المادة، فكيف بالمجتمعات المادية، وعندما نقول مادية يعني لا تتحد قيم الدين و الأخلاق في تشكل بنيتها الذاتية والموضوعية أو التحتية أو الفوقية، فالتفكير الماركسي الذي أعطى للبعد المادي في نظرياته أهمية كبيرة على حساب ما هو معياري حتى أنه طال الفلسفة نفسها، إنما جاء من إيلاء أقوى غريزة بشرية وهي حب المادة أولوية من مساحة التفكير والتتظير والتفلسف، فالبشرية عانت ومازالت تعاني من سيطرة إقطاعية قديمة على سبيل الإنتاج، حيث الفقر والحرمان والعوز إلى سيطرة الرأسمالية حيث الرفاهية الكاذبة والديون والقروض والضرائب والتسابق على الربح، والتسابق السلعي وغيرها التي ربطت الإنسان بالتفكير بهذه الجزئيات، والانشغال عن ما هو إنسان قيمي³.

المبحث السادس: الانتقادات الموجهة لها:

وتماشيا مع ما تم ذكره، فقد وجهت مجموعة من الانتقادات حول المدرسة المادية التاريخية نذكر منها ما يلي:

عرض ماركس وإنجلز المادية التاريخية باعتبارها تفسيراً لواقع التاريخ وتحليلاً علمياً له، ومع ذلك تخطت نظريته بين عالم الواقع وعالم القيم، فبالرغم من أنه انتقد الرأسمالية على أساس ما تتضمنه من متناقضات لا على أساس ما يلحق العمال من ظلم، فإنه يبشر بالشيوعية باعتباره المجتمع الذي تتحقق السعادة فيه للإنسانية، إنه يمنح العمال أمل تحقيق الفردوس على الأرض، وهذه نبوءة أخلاقية تذرع لها بأسس ادعى أنها علمية موضوعية، إن

1- عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ترجمة: كاظم الجوادي، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1980، ص: 90.

2- سنالين، المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية، دار دمشق للطباعة و النشر، (د م ن)، (د س ن)، ص: 71.

3- مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها: التأسيس والانعطاف والاستعادة، إشراف وتحرير ومشاركة: علي عبود المحمداوي، تقديم: أم الزين بن شيخة المسكيني، ط1، دار و مكتبة عدنان، بغداد، 2014، ص، ص: 193، 194.

نظرية ماركس لها نظرة في التقدم لا في التطور، إنه لا يصف ما هو واقع وإنما يتنبأ بأفضلية اللاتبقي حيث نهاية الآلام والشر، وذلك حكم تقييمي يتعارض مع النزعة العلمية الواقعية¹.

يؤخذ على أفكار هذه المدرسة وأصحابها التفسير التعسفي للمادة التاريخية، فعلى الرغم مما تناولته المادية التاريخية عند كارل ماركس من قضايا مثل الحتمية التاريخية والتطور التاريخي والصراع الطبقي بهدف دراسة علمية للتاريخ، إلا أن نظريته في تفسير التاريخ جاءت بعيدة على علمية التاريخ، حيث أهملت العوال القومية والعقائدية والمذهبية والنفسية والروحية وغيرها، فالصواب عند تفسير التاريخ الإدراك أن تاريخ الانسان تكونه عوامل كثيرة، ليس الاقتصاد إلا عاملا واحدا منها، فهناك أشياء كثيرة في التاريخ غير العامل الاقتصادي، فالإنسان لا يقصر حياته على أن يحبو على بطنه، فهناك أشياء تحفز الانسان للعمل والتي هي غير الاقتصاد بتاتا².

كما أن أسباب الصراع ليست فقط أسباب اقتصادية، وإنما تكون إيديولوجية، يمكن التناقض المنهجي في تفكير كارل ماركس في توجيه الاتهام للرأسمالي بأنها نظام استغلالي، وفي نفس الوقت ومن أجل إحداث التغيير، يشجع على زرع الرأسمالية عبر الإمبراطوريات، التي احتلت الشعوب الضيقة في آسيا وإفريقيا، كما أكد على ذلك بعض الماركسيون الجدد³.

3- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1975، ص، ص: 241، 242.

² - خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص، ص: 64، 65.

³ - فضيلة سنوسي، دروس مادة مدارس ومناهج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2019-2020، ص: 6.

استنتاج:

وفي الختام نستخلص جملة من النقاط نذكر منها ما يلي:

إن المادية التاريخية هي إحدى آليات التحليل الماركسي، وأن تفسير الظواهر الاجتماعية وفقا للمادية التاريخية، وذلك يكون بالبحث في النشاطات المادية للمجتمع، وقد ركزت أيضا على التطور الاقتصادي بما يتضمنه من وسائل وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فقد اعتبر كارل ماركس أن الاقتصاد هو شرط أساسي و مؤثر حاسم في حياة المجتمع.

إن المادية التاريخية ماهي إلا امتداد لمبادئ المادية الديالكتيكية على دراسة الحياة الاجتماعية، وتطبيق مبادئ المادية الديالكتيكية على ظواهر الحياة الاجتماعية وعلى دراسة المجتمع وتاريخه.

فالماركسيون ركزوا على أهمية التفسير المادي للحوادث التاريخية، فلا بد لكل باحث أن يكون ملما بالظروف الاقتصادية المحيطة به، لأنه حتما ستساعده على فهم أفضل للظاهرة التاريخية.

كما يرى ماركس أن تاريخ المجتمعات ينحصر في صراع طبقاته، والذي كان ينتهي بتوازن.

هذا وقد كان ظهور الماركسية مع بداية القرن التاسع عشر، جاء نتيجة لحالة الاضطرابات التي عرفت أوروبا.

وعلى العموم، فإن المادية التاريخية راهنت على طبقة البروليتاريا التي احتضت أفكارها.

المحاضرة رقم: 06: المدرسة الوثائقية التاريخية:

المبحث الأول: نشأة المدرسة الوثائقية:

1- التعريف بالمدرسة الوثائقية:

أ- الوثيقة التاريخية:

الوثيقة لغة واصطلاحاً:

اشتقت كلمة الوثيقة من الثقة، وهي الائتمان على الشيء، والوثاقة هي مصدر الشيء الوثيق، وأوثقه في الوثائق أي شده، فالوثيق هو الشيء المحكم وجمعه وثائق، ووثقت شيء توثيقاً أي أحكمته¹. ولم ترد كلمة الوثيقة أو وثائق صريحة بالقرآن الكريم بل وردت 12 كلمة من مشتقاتها، ذكرت 37 مرة، وهي: (واثقكم، يوثق، الوثاق، وثاقه، الوثقى، موثقاً، موثقهم، ميثاق، ميثاقاً، ميثاقكم، ميثاقه، ميثاقهم)²، وكلها تفيد في معنى العهد. وبما أن كلمة الوثيقة هي في الصيغة المؤنث لكنها هي ليست اسم لعلم، لذلك يمكن جمعها جمع تكسير مثل كبيرة كبائر طريده طرائد وثيقة وثائق.

المعنى الاصطلاحي للوثيقة التاريخية، فقد اختلفت فيه الآراء، فالدوائر المعارف والموسوعات ذكرت تعريفات عامة والشاملة لها دون التمييز بين مفهوم وآخر، فالموسوعة العربية الميسرة وصفت الوثائق بأنها مخطوطات تتألف من لفائف البردي وأدراج الورق، أو مطبوعات تشمل إجراءات ومراسيم وقوانين والأوامر وحسابات الأموال وغيرها، بما ينشأ عن تأدية أي عمل من أي نوع، ويرجع إليها عند الدراسة، وهي لا تقتصر على الوثائق الحكومية، بل قد تكون وثائق لجمعيات أو لأشخاص أو لهيئات حكومية، يستخلص منها الباحثون أدلة لموضوعات تاريخية أو اقتصادية، نظراً لأهميتها أصبحت لها (ولاية قانونية) لكي تبقى بعيدة عن أيدي العابثين، وقد برزت أهميتها بالعصر الحديث، فأنشئت المعاهد والأقسام في كليات الجامعات والمدارس خاصة³.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مجلد: 10، دار الصادر، ص: 371.

² - سورة المائدة، الآية: 7.

³ - محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص: 1944.

ب- مفهوم المدرسة الوثائقية:

تعتبر المدرسة الوثائقية من أهم المدارس التاريخية التي تعمل على الوصول الى معرفة الحوادث وكيفية حدوثها، ومن أجل ذلك عملت على تأسيس النقد والتمحيص الدقيق للوثائق المكتوبة، وذلك بإيجاد الأحداث التاريخية من جديد بغض النظر عن محيط الأشخاص والوقائع، وهكذا أسقطت في التاريخ الحديث، وفي خلفيات التاريخ الوثائق التي تؤدي إلى انحياز واضح الاستراتيجيات الدول القائمة وبالتالي الى كتابة تاريخ جد رسمي، حيث سادت هذه المدرسة بفرنسا طوال القرن 19م، وكان مرجعها الأساسي بفرنسا وهو المجلة التاريخية *la revue e histories* التي تأسست سنة 1876م على يد المؤرخ غابريال مونود Gabriel Monod.

حيث دعت هذه المدرسة على الاعتماد على البحث العلمي في التاريخ متتحية أي تأمل فلسفي، وهادفة للموضوعية المطلقة في المجال التاريخي، وقد اعتمدت أن بإمكانها الوصول إلى أهدافها، وتطبيق تقنيات دقيقة تتعلق بجمع المصادر بنقد الوثائق وتنظيم خطوات على قواعد منهجية، أصبحت تشكل ثوابت ودليل في مهنة المؤرخ وطريقة العملية التاريخية، ولاسيما صدور كتاب "مدخل للدراسات التاريخية"، الذي أضحى خطابا عالميا في المنهج التاريخي.

أصبحت المدرسة الوثائقية مع مطلع القرن العشرين الميلادي، عرضة للكثير من الانتقادات الشديدة من قبل الجيل الجديد من المؤرخين الشباب في فرنسا على وجه الخصوص "لوسيان فيفر"¹ و"مارك بلوك"²، اللذان نفخا الروح الجديدة في الدراسات

¹ - مؤرخ فرنسي، ولد في 22 جويلية 1878م في مقاطعة نانسي الفرنسية، درس في المدرسة العليا سنة 1899م، تخصص الأدب، أصبح بعدها أستاذ بجامعة ستراسبورغ سنة 1919م، ويعد من أعمدة كتابة التاريخية ومن مؤسسي مدرسة الحوليات التاريخية، توفي سنة 1956م بفرنسا.

² - مؤرخ فرنسي، ولد في 6 جويلية 1886م، بمدينة ليون الفرنسية، أستاذ التاريخ في كلية ستراسبورغ منذ سنة 1918م، واحد من أهم مؤسسي مدرسة الحوليات التاريخية مع زميله لوسيان فيفر، التي تعني بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الى تجاوز النمط الكلاسيكي في الكتابة التاريخية، توفي سنة 1941م.

التاريخية، حيث اشغلوا المجلة التركيب لتوجيه الانتقادات الشديدة للوضعيين الذين اتهموا بالتركيز في كتابة التاريخ على الوثيقة التاريخية على علوم أخرى¹.

2- أهمية الوثائق في الكتابة التاريخية وعلاقتها بالتاريخ:

أهميتها: تمثل الوثائق دوراً مميزاً لربط الماضي بالمستقبل، وهي أثمن نفائس التراث لدى أي أمة من الأمم وذاكرتها الحية الباقية، كما أنها هي الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها تاريخ الأمم بالبحوث التي تتم حوله موضوعات متعددة.

وحيث تعتبر الأصول النزيهة التي يجد الباحثون والمؤرخون في ثنايا سطورها الكثير من الحقائق التي تسد الثغرات الناقصة، ومن خلالها يستكمل الحلقات المفقودة، الوثيقة تعبر عن ماضي الأمة وتمثل تاريخها وحضارتها، فهي بالتالي تدل على مصداقية المادة التاريخية.

كما يمكن تبيان أهميتها على النحو التالي²:

الأهمية الإدارية: تمكن في مساعدة المؤسسة على إنجاز أعمالها الإدارية الجارية، وتوفير معلومات للقيادات الإدارية في مجال اتخاذ القرارات، والأهمية القانونية فتتمثل في أن الوثائق تحتوي على إثباتات لحقوق المؤسسة، والتزامها مثل عقود البيع والشراء والاتفاقيات.

الأهمية المالية: وتتمثل في المعاملات المالية داخل المؤسسة أو خارجها مثل الموازنات السجلات للمحاسبية.

الأهمية العلمية: من حيث احتواء الوثائق على بيانات، ومعلومات تستخدم لأغراض البحث العلمي والدراسات والتقارير.

الأهمية التاريخية: وتشمل الوثائق التي لها علاقة بتأسيس المؤسسة، وتطور سياساتها واجراءاتها وهيكلتها.

¹ - هاري إلمز بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمان برج، ج2، دار الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، 1987، ص: 59.

² - مجبل لازم المالكي، علم الوثائق وتجارب في التوثيق والأرشفة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص: 72.

علاقتها بالتاريخ: تعتبر علاقة عضوية تربط بين المؤرخ وعالم الوثائق، بحيث يسعى للوصول إلى الحقيقة، ولقد أصبح المنهج الوثائقي أحد الروافد الأساسية في مجرى الحقائق التاريخية، فبدون الوثائق وأشكالها المختلفة والمخطوطات لا يمكن كتابة التاريخ.

أي التاريخ يكتب في غياب الوثائق والمخطوطات يعتبر بمثابة التاريخ ينقصه الكثير من الحقائق، فالوثائق تمهد سبيل أمام المؤرخ لكتابة بحوث مبتكرة، مما يزيد من قيمة الوثائق أن تكون مترابطة وفيها استمرارية بسبب نموها الطبيعي المتسلسل زمنياً، مما يسهل على المؤرخ مهمة البحث العلمي، ويمكنه من الوصول إلى أحكام صحيحة لاعتماده على مجموعة كبيرة من الوثائق المتكاملة، وليس على نوعيتها القليلة المتباعدة في التسلسل الزمني، وتعد الوثائق مصدراً أصلياً لدراسة التاريخ والحضارة لكونها منبعاً أصلياً يجد فيه الباحث والمؤرخ الكثير من الحقائق الأصلية التي تحتوي على المعلومات التاريخية، تتناول المسائل السياسية الاقتصادية والتجارية، كما تحوي على عادات الشعوب وتقاليدها في ذاكرة حية للأوطان تعبر على فهم الماضي وكشف الحقائق¹.

المبحث الثاني: أسس المدرسة الوثائقية وروادها:

(1) رواد المدرسة الوثائقية:

(أ) شارل سينيوبوس (Charles Seignobos) :

يعد شارل سينيوبوس من مؤسسي مدرسة المناهج الفرنسية، بحيث تعد نقطة التحول في مساره التعليمي زيارته وإقامته في ألمانيا وبالتحديد في مدينة برلين، أين استطاع أن يصقل ثقافته التاريخية، ويبدع بعدها في إرساء قواعد الكتابة التاريخية، مما جعل كتابته وأعماله تعد اسهاماً فعلياً، وقد تمثلت أولى اسهاماته العلمية في ميدان الكتابة التاريخية في انشاء "الدليل" الذي كان تابع للمجلة التاريخية، التي كان يكتب فيها المؤرخ الكبير (غابريال مونود Gabriel Monod)².

¹ - مجبل لازم المالكي، علم الوثائق، المرجع السابق، ص: 75.

² - هاري إلمز بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، المرجع السابق، ص: 59.

واعتبر "الدليل" المنهاج الخاص بالباحث التاريخي، ومن اعتقادات المؤرخ شارل سينوبوس "أن التاريخ ليس إلا وضعية عمل بالوثائق"، وبالتالي فبالنسبة له الوثيقة هي الوسيلة الوحيدة الحاملة للوقائع التاريخية.

أما عمل المؤرخ استدلال، أي ينطلق من معطى الوثيقة ليصل الى الحقيقة، ومن اقتباسات أقواله نذكر: "التاريخ يصنع من الوثائق، والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم"، و أيضا: "لا بديل عن الوثيقة وحيث لا وثائق فلا تاريخ"¹.

ب) ليوبولد فون رانكه (1795-1886): (Leopold von Ranke)

كان مؤرخاً ألمانياً، يُعتبر أحد أبرز رواد المدرسة الوثائقية التاريخية، ومؤسس المنهجية الحديثة في كتابة التاريخ، فقد اشتهر رانكه بتركيزه على الدقة والموضوعية واستخدام المصادر الأصلية لفهم الأحداث التاريخية، لأنه لا يمكن دراسة أي عصر إلا من خلالها، مركزاً على الوثائق الرسمية ومراسلات الدول وسجلات الحكومات والكنائس، والمذكرات الشخصية باعتبار أن الوثائق هي الوسيلة التي تطلعنا على الماضي، وهي الأداة الفعالة المقنعة التي يعمل بها المؤرخ في إطار علمي².

ومن إسهاماته في منهج البحث التاريخي نذكر:

1- إرساء الأساس للتاريخ الأكاديمي الحديث:

وضع رانكه قواعد صارمة للتحليل التاريخي، مما جعل التاريخ مجاًلاً أكاديمياً يعتمد على المنهجية العلمية والبحث الدقيق³.

2- تطوير مفهوم الموضوعية في التاريخ:

كان رانكه من أوائل المؤرخين، الذين ركزوا على تقديم روايات تاريخية خالية من الأيديولوجيا والتأثيرات الدينية أو السياسية⁴.

3- التأثير على الأجيال اللاحقة من المؤرخين:

¹ - وجيه الكوثري، تاريخ التأريخ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث والدراسات السياسية، قطر، ط2، 2013، ص، ص: 165، 167.

² - حسين مؤنس، التاريخ و المؤرخون، دار المعارف، 1984، ص: 77.

³ - الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، 2013، ص: 83.

⁴ - ظاهر محمد صكر الحساوي، دراسات في منهجية الفكر التاريخي، دار و مكتبة عدنان، الرباط، 2014، ص: 168.

أثرت أفكاره في المؤرخين الأوروبيين والعرب على حد سواء، حيث اعتمدت أعماله كنموذج في تحليل الوثائق التاريخية واستخدام الأرشيفات.

(ج) شارل فيكتور لانجلوا:

اعتمد معظم المؤرخين على الوثيقة باعتبارها نقطة الانطلاقة في كتابة البحوث التاريخية، فالمؤرخ الفرنسي تشارل فيكتور لانجلوا واحد من المؤرخين القلائل الذين تكونوا بين جدران الأرشيف الوثائقية، بدأ مشواره بالتعايش مع الوثيقة التاريخية عندما درس في مدرسة الوثائق ومدرسة الحقوق، وفي كليات الآداب بجامعة عدة عام 1885م، ومونبليه عام 1886م وباريس عام 1888م¹.

واشتهر بتدريس العلوم المساعدة للتاريخ وعلم الخطوط القديمة وعلم المرجع، وتكون على يديه جيل من المؤرخين وأمناء المخطوطات والمكتبات، وألف العديد من الكتب عن تاريخ فرنسا في العصور الوسطى اعتماداً على الوثائق مثل كتاب: "الحياة في فرنسا في العصور الوسطى"، وكتاب "المجتمع الفرنسي في القرن الثالث عشر"، وكتاب "المعرفة طبيعة والعالم في العصر الوسيط"².

(ج) منهجية المدرسة الوثائقية من خلال رانكه:

لخص رانكه في مهمة المؤرخ في الكتابة التاريخية، من خلال اعتماده على الوثائق على الآتي:

أولاً: على المؤرخ أن لا يضيف لمادته شيئاً يقصد زيادة سحرها الجمالي أو البلاغي.
ثانياً: على المؤرخ أن لا يصدر أحكاماً على الماضي لإفادة الحاضر، وليتنفع بتجاربه للمستقبل.

ثالثاً: على المؤرخ الاقتصار على ما حدث حقيقة وفق ما أخبرته الوثائق به التي قرأها، وأن ينكر نفسه كل الإنكار، ولا يعبر على وجهة نظره الخاصة.

¹- ظاهر محمد صكر الحسناوي، دراسات في منهجية الفكر التاريخي إطلالة على دور الوثيقة في كتابة التاريخ، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014، ص: 117.

²- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص، ص: 11، 12.

وفي هذا قال رانكه: (أنا المرآة تتراءى فيها الأحداث، كما وقعت بالفعل في الماضي)، ولخص إلى أن المؤرخ الحقيقي من أجل الوصول إلى هذه الغاية يجب أن تتوفر فيه ثلاثة خصال:

إدراك الأشياء، الشجاعة أن لا يخاف مما يراها، النزاهة ألا يقع في خداع الذات¹. وقد صار في هذا الاتجاه العديد من المؤرخين أمثال راتزل وهيلموت، وقوستل هذا الأخير الذي قال لمستمعيه: (لا تمدحوني فلست المتحدث، وإنما التاريخ هو الذي يتحدث عن فمي)، وبناء على ما ذكرناها قال المؤرخ الانجليزي لورد اکتون هو (البطل الحقيقي لدراسة الوثائق)².

هكذا نستطيع عرض منهج رانكه في خمس قواعد:

- التحقق من الوثائق وتحليلها ونقدها.
- التحقق من الأحداث وعرضها بطريقة كرونولوجية.
- اجتناب الحكم على الماضي والاقتصار على وصف الواقعة التاريخية كما هي.
- نفي العلاقة بين الذات العارفة أي المؤرخ من جهة، وموضوع المعرفة أي الواقعة التاريخية من جهة ثانية.
- التاريخ الموجود لذاته موضوعيا وفهمه ميسر بصفة موضوعية وحيادية، انطلاقا من الوثائق الكافية لبناء السرد بعيد عن كل التأويل، ومن دون إصدار أحكام أو استخلاص عبر.

من خلال شارل سينوبوس:

ويقدم سينوبوس منهجية في دراسة الوثائق تبنى على:

-النقد الخارجي و النقد الداخلي.

-مرحلة الربط.

-تحديد وظيفتها.

¹- مصطفى داودي، مطبوعة في مقياس المدارس التاريخية، ماستر المقاومة والحركة الوطنية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019-2020م، ص، ص: 90، 91.

²- حسين مؤنس، التاريخ و المؤرخون، مرجع سابق، ص: 80.

كما يقسم الوقائع التاريخية إلى ستة أصناف (الظروف المادية كدراسة علم الإنسان، أو الأجناس العادات والتقاليد كاللغة والفن والدين، العادات المادية كالغذاء والعمل والماراسم الاجتماعية، العادات الاقتصادية كالإنتاج والسهولة في كتابته¹).

(د) علاقة الوثيقة بالمنهجية التاريخية:

فيما يتعلق بعلاقة الوثيقة بالمنهج التاريخي، هناك من يرى أن هذه المقاربة تعتمد الى حد ما على اعتبار أن تحليل الوثيقة هو منهج توثيقي، وأن بناء البحث التاريخي وتنسيق الحقائق وترتيبها وبيان أسبابها هو منهج تركيبي، ويطلق على المنهجين اسمين المنهج التاريخي، وبذلك يمتزج التوثيق مع التركيب والتحليل ينتج لنا تاريخاً².

هنا لابد أن نستشهد بما كتبه المؤرخ وجيه الكوثراني عن منهجية المؤرخ المجيد قدوري قائلاً في بداية كلامه: "قليلة هي الدراسات التي تحسن استقراء الوثيقة التاريخية في ضوء المفاهيم العلمية المعاصرة، فتتأمل فيها عملية التاريخ للواقعة مع التحليل للمفاهيم للسياق التاريخي"،

فالسائد أن أغلب التاريخ الحديث (الاجباري) على الكتابة أو يغلب التوصيف الايديولوجي (الأسطوري) على الخطاب (التحليل)، وفي الحالتين يبقى البحث مجانباً الأسئلة الصعبة بحجة الأمانة للوثيقة.

وبعد أن يمهد كوثراني لما يزيد قوله من كتاب القدوري "المغرب وأوروبا ما بين القرنين 15 وال 18 مسألة التجاوز"، الذي صدر سنة 2000 في بيروت بهذه الأسطر التي تتطوي على رؤية شمولية واسعة في ميدان الكتابة التاريخية العربية، ينتقل إلى الحديث عنه هو فيقول دراسة مؤرخ عبد المجيد قدوري هي من الدراسات العربية القليلة التي تقع خارج الثنائية في التوصيف، يجمع المؤلف بقدره بقدرته وجهد متميزين بين معطيات التوثيق ومعطيات التحليل للمفاهيم، ليشير إشكاليات صعبة لي طرح منها فرضيات مركبة، وليحاول أن يرهن عليها بمعطيات، والاستنتاجات مقنعة أو مثيرة لمزيد من الجدل الثري.

¹ - وجيه الكوثراني، تاريخ التأريخ، مرجع سابق، ص، ص: 171، 173.

² - شاكر محمود عبد المنعم، "الوثائق وأهميتها في دراسة وتدریس التاريخ"، مجلة المؤرخ العربي، العدد: 55، 1997، ص: 45.

المبحث الثالث: أصناف الوثائق وخطوات نقدها:

1- أصناف الوثيقة:

تعتبر الوثائق مواد عمل المؤرخ، وتتميز بالتنوع والتعدد، نذكر منها خاصة:

-النصوص والوثائق الأرشيفية:

وهي الصنف المحبذ للمؤرخ نظرا لتميزه بدقة وأكثر من غيره، إلا أن تغير الخطوط عبر الأزمنة واختلافها من الناسخ إلى آخر، يستوجب من المؤرخ معرفة وإلماما بعلم خطوط الببليوجرافيا، ليتمكن من تحقيق النصوص وقراءتها قراءة صحيحة¹.

فتحقيق المخطوطات من مهام المؤرخ، وخاصة المختص في الفترة الوسيطة أصبح من الصعب اكتشاف المخطوطات الجديدة، والمؤرخ في هذه الحالة مدعو الى استغلال ما توفره من مصادر أخرى معظمها ما زال مخطوطا ككتب النوازل والفتاوى والمناقب والأحكام الحسبة والوثائق، وغيرها من المؤلفات الفقهية، وكتب الطبقات والتراجم والسير والأنساب.

أما الوثائق الأرشيفية فهي نوعان: الأرشيف الرسمي أو الحكومي مثل محاضر جلسات، مراسلات، اتفاقيات، معاهدات دولية، وهي محفوظة بدور الأرشيف الوطني، والأرشيف الخاص، وهو على ملك الأفراد أو العائلات أو المؤسسات، يستوجب الاطلاع عليها ترخيصا من أصحابها، فهي وثائق قريبة جدا من الواقع المعاش والحياة اليومية.

- **الصحف:** منها ما هو رسمي حكومي ومنها ما هو خاص. وقد تكون الصحيفة يومية، أسبوعية، قومية، جهوية أو محلية. لكن مهما كانت نوعيتها فإن الموضوعي بالنسبة للخبر الصحفي يظل مسكونا بالذاتي وموجها من قبله، إن الاعتراف بقيمة النص الصحفي بالنسبة للبحث التاريخي لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن واجب الاحتراس إزاء هذا النوع من المصادر التي قد لا تستجيب دائما لشروط الموضوعية، وهذا ما يبعدها أحيانا عن الحقيقة التاريخية ويسقطها في متاهات التأويل والتزييف. ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تختلف مقارنة التاريخ في معالجة القضايا والأحداث عن معالجة الصحافة².

¹ - المرجع نفسه، ص: 48.

² - محمد إبراهيم السيد، مقدمة للوثائق العربية، سلسلة الوثائق والمعلومات، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص: 20.

وعلى العموم فالصحف منها ما هو حكومي الرائد الرسمي، وما هو خاص قد تكون صحيفة يومية أو أسبوعية قومية جهوية أو محلية، لكن مهما كانت نوعيتها فعلى المؤرخ الأخذ بعين الاعتبار الاتجاه الصحفي للصحيفة ونوعيتها¹.

- **الوثائق السمعية البصرية:** هذا الصنف من الوثائق هو في تطوّر مطّرد في السنوات الأخيرة، بسبب استعمال الراديو والتلفزيون والسينما والفيديو...، وهي كباقي المصادر الأخرى قابلة للتحريف بسهولة عن طريق عملية التركيب (Montage).

- **المؤلفات الأدبية:** توفّر معلومات تاريخية عن الأوضاع الاجتماعية (طرق العيش، أنماط الحياة، العادات)، ويكفي أن نذكر بأهمية الشعر الجاهلي في وصف المجتمع العربي قبل الإسلام.

- **الأعمال الفنية:** توفّر أيضاً للمؤرخ جملة من المعلومات التاريخية، نذكر على سبيل المثال أهمية اللوحات الفسيفسائية في دراسة المجتمع الروماني، أو لوحات الرسامين الإيطاليين أو الهولنديين لفهم عصر النهضة الأوروبية، فهذه الأعمال الفنية هي بمثابة نصوص بالنسبة للمختصّ في تاريخ الفن².

- **الوثائق الأثرية:** تشكّل مجموعة من المخلّفات الأثرية من عمارة ونقائش ومسكوكات وخزفيات...، وهي تشكّل مصدراً مهماً للمؤرخين وخاصة المتخصّصون في دراسة العصور القديمة.

- **الوثيقة الإيكوغرافية أو المصورة (Document Iconographique):** إن أهميتها في تزايد مستمر منذ مطلع القرن التاسع عشر، والصورة -كما يقول المثل الصيني- هي بمثابة ألف كلمة³، وهي تشكّل مصدراً آخر من مصادر البحث التاريخي يمكن الاعتماد عليه خاصة إذا انعدمت الوثائق المكتوبة، فمثلاً توفّر الرسوم على جدران الكهوف للمؤرخين الكثير من المعلومات التاريخية عن الحياة في عصور ما قبل التاريخ، كما يتعدّر على

¹- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، الوثائق التاريخية: دراسة تحليلية، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001، ص: 34.

²- لتفاصيل أكثر ينظر: بلكمال البيضاوية، أنشطة فلاحية واستغلاليات من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي، وأيضاً: إبراهيم بوطالب، البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1999، ص: 11.

³- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة السلبيات والإيجابيات، الكويت: عالم الفكر، يناير 2005، ص: 7.

المؤرخ، إن لم نقل يستحيل عليه، دراسة النهضة الأوروبية في القرنين الخامس والسادس عشر دون إدراج الرصيد الهائل من الأعمال الفنية ضمن قائمة مصادره.

- **الخريطة التاريخية:** تمثل هي الأخرى أداة من بين أدوات المؤرخ، وهي ضرورية بالنسبة إليه في ضبط المواقع، ووسيلة ناجعة للتعبير عن حدث أو ظاهرة تاريخية (توزيع السكان، تحركات القبائل، مراحل تنقلات جيوش...) ¹.

تتوفر إذن للمؤرخ وثائق متنوعة وعديدة، وغالبًا ما يعكس تعدد الوثائق انشغال كل متخصص، فماهية الوثيقة عند الأركيولوجي هي البقايا الأثرية (حجرية، حيوانية، نباتية)، وعند المؤرخ المعتكف على مكتبة وطنية، هي المخطوطات والرسائل والكناشات.

أما وثائق القرن العشرين فهي الخطب المسجلة والأفلام الوثائقية والاستجابات، كما أن ترتيبها أيضًا يختلف، فمثلًا أندريه كورفيزيه (André Corvisier) نجده يعطي الوثائق الترتيب التالي: الوثائق المكتوبة، الشواهد الإيكوغرافية، الأنصاب المادية، الرسوم المرئية، والمسجلات الصوتية.

واضح من خلال هذا الترتيب أنه ترتيب يلائم نوعًا خاصًا من التأليف التاريخي، غالبًا ما يعكس هم كل تخصص، «فالتاريخ السياسي والديبلوماسي يضع على رأس القائمة الشواهد المكتوبة، المخطوطة أو المطبوعة، وتاريخ الفن الرسوم والأشكال التمثيلية الأخرى والأرشيات المواد المستعملة، وتاريخ الإنتاج الجداول الإحصائية وتاريخ الذهنيات الأدبيات والأساطير والأحلام» ².

خطوات نقد الوثيقة:

إن خطوات النقد التي اصطلح المؤرخون على تقسيمها بين النقد الداخلي (Critique interne)، والنقد الخارجي (Critique externe) للوثائق هي الخطوات التي تعطي لهذا الجهد طابعه ووظيفته العلميين في مرحلته الأولى، على أن المرحلة الثانية التي تتلخص

¹ - عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، "الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية"، مجلة الوثيقة، العدد: 38، يوليو 2000، ص: 108.

² - عبدالرحيم الحساوي، "حريات في مفهوم الوثيقة التاريخية: مقاربات وتصورات"، مجلة كلمة، العدد: 105، 2020 / 1441 هـ، ص: 34.

بالبناء التاريخي، وهي مجموعة عمليات تركيبية تقوم على ربط الوقائع التاريخية المفردة بتصور ذهني عام، يجب أن تكون أيضاً ذات منهج في رأي أصحاب المدرسة المنهجية، ذلك بأن الوقائع المستخرجة من النقد تظل مفردة مشتتة، ولتنظيمها في بناء ينبغي أن نتصورها وأن نجمع بينها وفقاً لتشابهها مع وقائع حاضرة.

استنتاج:

من خلال تناولنا لموضوع المدرسة الوثائقية التاريخية ووقوفنا عند مفهومها وأهميتها و منهجها المتبع في الكتابة التاريخية توصلنا إلى أن:

* تُعد المدرسة الوثائقية التاريخية إحدى المناهج الأساسية لفهم التاريخ من منظور علمي دقيق، بفضل اعتمادها على الوثائق الأصلية وتحليلها بمنهجية نقدية.

* ساهمت هذه المدرسة في تقديم صورة موثوقة للأحداث التاريخية بعيداً عن التحيز أو التأويل غير المبرر، ولقد مهدت الطريق أمام المؤرخين للتعامل مع الماضي بموضوعية، مما ساعد في بناء قاعدة معرفية غنية تخدم الحاضر والمستقبل.

* إن إسهامات هذه المدرسة تظل حاضرة بقوة في الدراسات التاريخية، مؤكدة أهمية الوثائق كمفتاح رئيسي لاستكشاف الحقيقة التاريخية وترسيخها.

المحاضرة رقم: 07: المدرسة التاريخية:

المبحث الأول: نشأة وتطور المدرسة التاريخية:

1- أصل ومفهوم التاريخية:

كتب فريدريك مانيك في مقدمة كتابه "ظهور التاريخية": "إن التاريخية كانت واحدة من أعظم الثورات الفكرية التي شهدتها الفكر الغربي، ربما كان هناك نفحة من الغلو في كلام مينيك، إذ عرّفت التاريخية على أنها مذهب ولكن برنامج، لقد كان هذا البرنامج الذي نشأ في منتصف القرن الثامن عشر وامتد طيلة القرن التاسع عشر، يهدف هذا البرنامج أو المشروع إلى إضفاء الشرعية على علم التاريخ لمعلم، كما جرى التعبير من هدف التاريخية وفي بعض الأحيان على أنه مطالبة بالاستقلالية، يجب أن يتمتع التاريخ بالحكم الذاتي، ولا يجوز التسامح مع التدخل الخارجي، سواء أكان سلطة سياسية أو دينية، أو أي نوع آخر من فروع المعرفة".

كما عرّفت التاريخانية بأنها دراسة الأحداث كما هي دون إخضاعها للمثالية الأخلاقية والسياسية، بل تدرس ظواهر تاريخية مختلفة في السياق، وترى هذه المدرسة أن حقيقة التاريخية تظل دائماً حقيقة نسبية، وأن علوم الطبيعة تفسر لكن علوم الاجتماع تفهم، ولا تنتظر التاريخانية إلى الوثائق باعتبارها شيء مقدس لتفسير وتأويل الحدث التاريخي، ويستطيع أن يسهل المؤرخ التاريخاني إلى حقائق جزئية، ولكنه لن يدرك الصورة الكلية للحدث التاريخي¹.

وجاء في موضوعه "بول إدواردز" في بيان تعريف المذهب التاريخي، ما يلي: "إن التاريخانية تعني الاعتقاد بأن الفهم المناسب للطبيعة ولكل شيء، والتشخيص المناسب لمعيار الفهم يجب أن يتحقق ضمن ملاحظة ذلك الشيء، بحسب القضاء الزمني والمكاني الذي يشغله والدور الذي يلعبه في مسار التنمية والتكامل².

وقد أشارت موسوعة "راتلج" إلى رأيين في هذا الشأن، وهما إن الرؤية التاريخية على ما قال "بينيدتو كروتشه"، بمعنى الروايات المتنوعة من الفكر التاريخي الذي شاع في القرن التاسع عشر للميلاد على نحو بارز، ولا سيما في ألمانيا، إن التاريخانية تأكيد على تأريخه جميع العلوم والمعارف، وتتمثل نقداً على الأبيستمولوجيا، والمعرفة المناهضة لتاريخية الفكر التنويري.

كما يرى "كارل هيويسي" أن التاريخانية تقوم على ثلاث فرضيات أو ثلاثة أصول، هي أن الإنسانية ليست لها ذات وطبيعة خاصة، وإنما لها تاريخ بمعنى أن التجربة والمعرفة إنما أصبحت محصورة ومشروطة بواسطة التاريخ. وإن القوانين التي تحدد وتعين حياة الإنسان لم تتقرر بشكل طبيعي، بل هي حصيلة الخلفيات التاريخانية الخاصة. ضف إلى ذلك أن المحتوى الواقعي للمعرفة، لا ينتمي إلى منطق معقول، بل يقوم على أساس موقعيته في التاريخ، والاهتمام الراسخ والثابت بالتاريخ.

¹ - فريدريك بيزر، ترجمات التاريخانية، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019، ص، ص: 1-

2.

² - محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن على مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022، ص، ص: 20-22.

2- التأسيس وبداية التاريخانية: إن الموقف من التاريخ ظل معروف عند أغلب الأمم والشعوب، وإن لم يكن هذا الموقف محل التدوين دائماً، فلقد كانت مهمة المؤرخين منذ عصر المؤرخ اليوناني هيرودوت* Hérodote (482 ق.م-420 ق.م) محصورة في وصف حوادث الماضي، وتتبعها تاريخياً، ومن هنا نشأت اتجاهات فلسفية محاولة تفسير حركة التاريخ، وتطوره عبر المراحل التاريخية التي مر بها.

أما النزعة التاريخانية (Histocicism) فهي نزعة وليدة العصر الحديث، ويعني بها مجموعة الأفكار المترابطة تحولت في وقت متأخر إلى فكرة مسلم بها، دون التشكيك فيها¹. إن المسار التاريخي للنزعة التاريخانية وبذورها الأولى قبل العصر الحديث، فهناك من يرجح أن التاريخانية برزت ملامحها مع أفلاطون (427/428 ق.م-347 ق.م)، فعلى الأغلب أن أفلاطون قد أخذ معالم نظريته التاريخية من مذهبه الفلسفي المثالي القائم على التقابل بين عالمين مختلفين، وهما: العالم المنظور والعالم غير المنظور، حيث أن العالم المنظور ما هو إلا نسخة عن العالم غير المنظور، وهذا الأخير بنظر أفلاطون هو العالم الحقيقي، غير أن التاريخانية التي جاء بها أفلاطون* بنظر "بوير" ما هي إلا نزعة صوفية.

وهناك من المؤرخين من يدعي أن كلمة التاريخانية هي من إبداع اللغوي السويسري "أدولف كارل فرنر" (1864م-1896م)، وذلك لما حاول أن يقوم بتصريف واضحاً لفلسفة فيكر. وفي موقف آخر نجد من يربطها "بهردر" 1744م-1803م، فقد كان له دور فعال في فلسفة التاريخ، ويظهر هذا الدور في رفضه لبعض الآراء السائدة في عصر الأنوار التي تقترض وجود قوانين ثابتة لا تتغير، وهذه القوانين صالحة لجميع الأزمنة، وهنا برز اعتراضه، وعلى هذه الفكرة القائلة بثبات القوانين، فهو يراها أفكاراً خاطئة تثير الريبة، وفي مقابل ذلك نجده يدافع عن فكرة التطور الإنساني التي لم تكن إلا مدرسة تدعو إلى الرجوع

* - هيرودوت (484 ق.م-425 ق.م): مؤرخ يوناني اشتهر بكتابه تاريخ هيرودوت، حيث يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض الأبيض المتوسط نقلاً عن: كارل بوير، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيد نفادي، دار التنوير لبنان، ط1، 1998، ص: 82.

¹ - المصدر نفسه، ص: 90.

** - أفلاطون فيلسوف مثالي يوناني وتلميذ سقراط، وهو مؤسس المثالية الموضوعية، له أكثر من ثلاثين محاور.

إلى الماضي، لكن بدخول القرن الثامن عشر عرفت هذه المدرسة تحولات جديدة في اهتماماتها، فبعد ما كانت تهتم بالماضي، فقد صارت تركز أيضا على المستقبل¹. ونجد ميكافيلي هو الآخر يؤكد أنه لما ينير المستقبل الفصلي التاريخي العودة دائما إلى أحداث الماضي، ويؤكد أيضا أن المدن والشعوب قد نشأت بالأهواء والرغبات نفسها، وأن كل ما حدث في الماضي سيحدث في المستقبل، ففي نظر ميكافيلي أن دراسة الماضي تسمح لنا بتبصر المستقبل².

وحسب التقاليد الفلسفية فإن مصطلح التاريخانية يرجع إلى مدارس الفكر التي ركزت على الوحدة التاريخية وتكافؤ الثقافات، ولهذا فالتاريخانية تثير بدرجة عالية إلى التعددية (pluralisme) والنسبية (Relativisme)، فالتعدد هو الشرط الأساسي حتى تظهر حقيقة موضوعية وحيدة، وذلك يعني أن الحقيقة الموضوعية الوحيدة هي محل ارتكاز العقلانية. ويمكن القول أن التاريخانية لم تهيمن على حقل العلوم الاجتماعية إلا خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بصورة أخص، إذ اقترن ظهورها بعدة أسماء ومن بينها: ميل (Mill johm stuart) وسبنسر³ (Sepencar herbert)، وارتبطت أيضا ببعض الحركات الفلسفية والاجتماعية مثل نشوء مورغان (morgan lewis herny) 1819م 1881م والداروينية⁴ (Darwinisme).

3- الفرق بين التاريخية والتاريخانية:

¹ - فيكو جيان باتيستا، فيلسوف إيطالي، ولد في نابولي، يميز مؤلفه "مبادئ فلسفة التاريخ"، ثلاثة أطوار في تاريخ كل شعب: الطور الإلهي الطور البطولي الطور الإنساني.

² - محمد مجدي الجزيري، نقد التنوير عند هير در، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المغرب، د. ط، 1999م، ص، ص: 27-28.

³ - ميل: (1806-1873): فيلسوف وعالم اقتصادي انجليزي، ولد بلندن وقد أشرف والده جيمس على تربيته، ومن أهم أعماله أولى مذهب المنطق 1843م في النفعية 1863م.

سبنسر: 1820 1903م، فيلسوف انجليزي عاش رافضا لكل الألقاب الفخرية والمناهب والتتميمات التي تنافس عليها الفلاسفة، وله عدة كتب: المبادئ الأولى 1860م، ومبادئ البيولوجيا ومبادئ علم الاجتماع 1877م.

⁴ - الداروينية: هي النظرية البيولوجية لداروين، وهي نظرية تحويلية يؤدي الانتقاء الطبيعي دورا هاما فيها، وقد ارتبطت بعلم الاجتماع، أنظر: رنده مراح، النقد الاستيمولوجي للنزعة التاريخانية عند كارل ريموند بوبر، مذكرة لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة، جامعة ورقلة، 2017، ص، ص: 10، 11.

يجيب البعض على السؤال أن التاريخية شيء والتاريخانية شيء آخر، فالتاريخية هي طريقة وأسلوب للبحث، في حين أن التاريخانية تقرر حتمية التطور وتأله التاريخ، وتدعو للرضوخ والانقياد له.

فكلمة التاريخية ظهرت للمرة الأولى في مجلة نقد (critique)، وذلك سنة 1872م، وهذا حسب قاموس لاروس، إذ تصرف أن التاريخية على أنها تلك المقدرة التي يتمتع بها كل مجتمع في إنتاجه حقله الاجتماعي والثقافي المخصوص بما يتوافق تاريخه المحلي. فالتاريخية تنص على أن البعد الاجتماعي للظواهر في حالة تطور مستمر، وتغيير دائم وهذا ما ركز عليه "لالاند" في تعريفه لمصطلح التاريخية (Histoissie)، "وجهة نظر تقوم على فهم موضوع معرفي ما على أنه نتيجة عالية لتطور يمكن تتبعه في الماضي"¹. وعليه فالتاريخانية هي القول بأن الوقائع والتجربة الحية زمانا خاصا، وأنها تتسم بشيء من المرونة والطلاقة، وقد قال بها الوجوديين معارضين بها النظرية التي تقول أن التاريخ تحكمه القوانين الثابتة².

أما التاريخانية فهي مصطلح التي تثير جدلا لا ينتهي إلى الحد الذي يمكن أن تصبح مصطلحا يصعب استخدامه³، فمعظم التعاريف التي أعطيت للتاريخانية تصب في الجانب الإيديولوجي، ويمكن التمييز بين مصطلحي التاريخية والتاريخانية، فالتاريخية والتاريخانية تختلفان لغويا أي اللاحقة ité من مصطلح l'historique تدل على كل ماله خاصية الحقيقة الجوهرية المادية، في حين أن لاحقة isme من مصطلح l'historique، تأخذنا لا محالة إلى النظام الذي بناه العقل⁴.

المبحث الثاني: أهميتها ومبادئها:

¹ - محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996، ص: 116.

² - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ج2، ص: 581.

³ - إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، د.ط، 1403هـ، 1983م.

⁴ - محمد أركون، مرجع سابق، ص: 117.

أ- أهميتها: هي الآن والأمر، كما أن التاريخية لا تعني أكثر من منهجية للتاريخ وعلى وجه التحديد ما إذا كان للتاريخ معايير الخاصة وأساليبه بمعزل على العلوم الطبيعية، لكن مثل هذا الانطباع مظل، فعلى الرغم من أن التاريخية قد بدأت بالفعل كرد فعل على هذه القضية، فإنه يكون من الخطأ الجسيم التقليل من أهميتها إلى مسألة المنهجية التاريخية وحدها، إن الآثار المترتبة عن التاريخية في الأبتمولوجيا والأخلاق والسياسة، عميقة بقدر ماهي واسعة.

إن أهم نتائج النقاش حول الأسلوب التاريخي، هي أنها سرعان ما تطورت إلى السؤال الأوسع حول المعايير والأساليب لدراسة المجتمع والثقافة بشكل عام، وبالنسبة إلى معظم المفكرين الألمان في القرنين الثامن والتاسع عشر كان التاريخ بأسلوبه لكل العلوم الاجتماعية أو الدراسات الإنسانية، فإن كانت أساليب متميزة عن العلوم الطبيعية، فإنه يمكن أن تكون الحالة نفسها مع العلوم الاجتماعية والثقافية الأخرى، ولذا فقد أثارت مسألة الأسلوب التاريخي المشكلة الأكثر عمومية للأسس الفلسفية لجميع الدراسات الاجتماعية والثقافية، وما كانت أساليبها مختلفة جوهريا في نوعها لأساليب العلوم الطبيعية، تذهب تداعيات التاريخية أبعد من ذلك بكثير، فبالنظر من التطور التاريخي الأوسع، شاعت التاريخية حول البحث المستمر في الفلسفة الغربية، للعثور على مسوغات متعالية للقيم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، أي السعي لإعطاء هذه القيم الدعم أو المصادقة¹، من خارج أو وراء السياق الاجتماعي الخاص بها، يمكن أن تكون هذه المسوغات دينية بشكل مباشر، أي العناية الإلهية أو يمكن أن تكون علمانية، أي القانون الطبيعي أو العقل البشري.

تقاس الأهمية التاريخية للتاريخية بشكل أفضل بواسطة قطعها مع عصر التنوير الذي هيمن على الحياة الفكرية الأوروبية خلال القرن الثامن عشر، ولم تكن التاريخية هي التيار الفكري الوحيد الذي هاجم التنوير، إلا أنها كانت الأكثر فعالية، إذا كانت الهجمات الدينية على التنوير متقطعة، في حين كانت انتقادات التاريخية دائمة، إن الادعاء بأن الأهمية التاريخية والفلسفية للتاريخية تركز على القطع مع عصر التنوير، بالنسبة إلى العديد من المؤرخين المعاصرين هو ترديد الأسطورة القديمة.

¹ - فريدريك بيزر، التاريخية، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019، ص، ص: 14، 16.

وبما أن الأهمية التاريخية والفلسفية للتاريخانية تتركز مع قطيعتها مع التنوير، وبما أن الدراسات الأخيرة قد أهملت أو عارضت تلك القطيعة، فمن الجدير أن نقصها ببعض التفاصيل، دعونا ننظر في مقولتين أساسيتين في عصر التنوير، كانت إحدى مقولات الإيمان الأساسية في عصر التنوير هي إيمانها بالقانون الطبيعي، أي أن هناك معايير أخلاقية كلية تنطبق على جميع الثقافات والعصور، وهناك مقولة أخرى أساسية في إيمان عصر التنوير، وهي إيمانه بقيمة النقد، أي إننا يجب أن نفحص جميع معتقداتنا وفقا للعقل، وأن نقبلها أو نفهمها بدقة وفقا للأدلة المقدمة عليها.

أ- رأي يوهان جوتفريد هردر (1744-1803):

يعتبر يوهان جوتفريد هردر رائدا لهذا الاتجاه انفراد التاريخ واستقلال منهجه، وقد نشأ هردر في أسرة متدينة، وكانت نزعتة الدينية أبعد من مجرد معارضة لتيار عصر التنوير، انتقد الدين والحد فيه إنه مذهب ديني يهتم بالجانب الروحي الفردي دون الجانب اللاهوتي المذهبي، ويقرر هردر أن لكل عصر تاريخي ولكل حضارة شخصيتها وقيمتها، وليس من شأن المؤرخ أن ينظر للماضي بعيون الحاضر ومعاييره، لأن الإنسانية ليست شكلا وطابعا ولا نمط واحدا.

ب- موقف فيلهلم دلتاي (1833-1911):

وأما فيلهلم دلتاي فيؤكد أن الإنسان من حيث علاقته بالتاريخ نتائج الماضي، ذلك أن الحياة البشرية طابعها الاستمرار، وكل لحظة مرتبطة بالأخرى لتكون وحدة متكاملة، والحياة الإنسانية أيضا تمتاز بالتغير والتنوع والديمومة، ولابد للمؤرخ من حامة تاريخية كي يدرك ذلك، ومن ثم تجنب النظر إلى الماضي باعتباره صورة مكررة أو مماثلة للحاضر، ويعطي أمثلة من التاريخ الروماني من خلال التمايز الطبقي.

ج- نظرة بينيديتو كروتشه (1866-1952):

كروتشه كان فيلسوفا مثاليا ومؤرخا وسياسيا إيطاليا، تناول موضوعات عديدة في كتابه، من بينها الفلسفة والتاريخ وعلم التأريخ والجماليات، اكتملت النزعة التاريخانية لدى

المفكر الإيطالي "كروتشه"، الذي انتقد الأسس التي قامت عليها المدرسة الوضعية ونزعته الطبيعية، ويرى أنه لا مجال للشيء للتاريخ، لأننا لا نملك المستقبل¹.

تعتبر مقارنة كروتشه المنهجية للفلسفة عن نفسها من خلال تقسيمه للروح أو العقل، إذ يقسم الجانب العقلي أولاً إلى الجانب النظري ثم الجانب العلمي، ففلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة، ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات، وكان لنظرية كروتشه الجمالية تأثير بالغ على النقد الفني في مرحلة البرجوازية، فقد عارضت الفن باعتباره معرفة مدسية بالفرد المتجمد في (لحسه)، الصورة الحسية بالاستدلال العقلي باعتباره عملية عقلية لمعرفة العام.

د- كولينجود والفكر التاريخي:

ومن منظري هذه المدرسة المعاصرين أيضاً نجد "كولينجود" مؤلف كتاب "الفكرة في التاريخ"، والذي يتفق مع كروتشه في عدم صلاحية المنهج التجريبي، لأن الواقعة التاريخية ليست معطاة كما هي الحال في العلم الطبيعي، ويرى أن التاريخ ليس مجرد وثائق ومستندات، وأن اكتفاء المؤرخ بمجرد المجتمع التجميع بمجال عمله أقرب من عملية "القص واللصق"، إن المؤرخ بالنسبة بكولينجود لا ينظر إلى مادته التاريخية نظرة خارجية أو سطحية، بل يفحص الوقائع ليكشف الفكر الذي بداخلها ويحركها، ويكشف الفكر الكامن وراء ما شرده تلك الوقائع، لكن مهام أخذ على التاريخانية أنهم أرخوا للحدث في جزئيته، ورفضوا التعميم في دراساتهم للواقع للظواهر.

المبحث الثالث: أزماتها:

في العقود الأولى من القرن العشرين بدأ المؤرخون في ألمانيا يكتبون عن "أزمة التاريخانية"، لقد منعوا هذا المفهوم لشرح الانهيار المعير للتاريخانية كحركة فكرية، كانت التاريخانية واحدة من أقوى الحركات الفكرية في ألمانيا في القرن التاسع عشر، إلا أنه مع نهاية القرن بدا أنها قد استفدت نفسها، وفقدت الثقة في نفسها، جاءت أزمة التاريخانية وفقاً لنظرية شائعة، نتيجة للنبوية الكامنة في المقاربة التاريخانية للقيم الإنسانية، فإنه إذا كانت القيم نتاج سياق اجتماعي وتاريخي محدد، وإذا كانت هذه السياقات فردية وفريدة غير قابلة

¹ - محاضرة 03، المدارس التاريخية، السنة أولى ماستر، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، جامعة خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

للتطبيق، فيبدو لو أنه لا توجد قيم إنسانية كلية، ونظرا لإعتبار التاريخانية نسبية في نتائجها، فقد اعتبرت مصدرا رئيسيا للعدمية وهي الشعور بمعنى عدم الحياة، وفقا لنظرية أخرى فإن الأزمة التاريخانية جذورا في هجوم "شو بنهاور" لم يفعل أكثر من مجرد إعادة الاعتراض القديم على التاريخ كعلم، فإنه كان لا يزال فعلا بسبب التأثير المتزايدة لفلسفته بعد منتصف القرن.

وفقا لنظرية أخرى بدأت أزمة التاريخانية في تسعينات القرن التاسع عشر، بنشر "كارل لامبرخت" كتابه "التاريخ الألماني" الذي طور فيه مفهوم التاريخ القائم على العلوم الطبيعية، ولا تزال هناك نظرية أخرى لأزمة التاريخانية تربطها بالانهيار في محاولات إيجاد المعنى والبنية والتقدم في التاريخ، جاء السبب الرئيس لهذا الانهيار في أعقاب الحرب العالمية، عبر الشعور العام واسع الانتشار بأن ملايين من الشباب قد منحوا من أجل قضية ضائعة، ليس لأجل سبب واقع على الرغم من أن التاريخانية كانوا يشكون في أن الأبحاث التاريخية ستثبت يوما ما ادعاءات التاريخ الكلي¹.

وفقا لنظرية أخيرة جاءت الأزمة التاريخانية من التناقضات الداخلية الخاصة بها، وبشكل أكثر تحديدا بين الصراع بين مثالية معرفتها الموضوعية، وإيمانها بقوة التكيف القوية للتاريخ، افترض بعض التاريخانيين مثالا مثاليا للمعرفة الموضوعية، كما لو كان المؤرخ قادرا على الوقوف أو بأخرى فوق تدرج تدفق التاريخ، محدد الحقيقة البحثية المستقلة عن جميع القيم والأفكار المسبقة، ومع ذلك فإن التاريخانية نفسها تظهر أن مثل هذه المعرفة المثالية ساذجة تماما، أي من هذه السرديات هو الصحيح، كلها ولا شيء منها كلها لأنها جميعا تشير إلى مشاكل حقيقية في التقليد التاريخاني، ولا شيء منها لأنها لا يمكنها تفسير انتقاء التقليد التاريخاني، فورا كل سردية لأزمة التاريخانية، كان هناك اقتراض ضمني بأن التاريخانية انتهت بسبب بعض العيوب الأساسية العميقة أو بعض التناقضات المتأصلة².

المبحث الرابع: التاريخانية والدين:

¹ - فريديريك بيزر، مرجع سابق، ص، ص: 13، 15.

² - مرجع نفسه، ص: 15.

منذ بداية ظهور مسألة الرؤية التاريخية في الغرب، كانت المخاوف قائمة هناك من انتقال هذه الرؤية إلى حقل الدين أيضاً، من ذلك أن "إرنست ترويلتش" على سبيل المثال كان قد أرتضى هذه النظرية، القائلة بأن جميع العلوم وجميع صور التجربة البشرية إنها تحصل من خلال مسار التغيير، إن النتائج المشكوكة من وجهة نظره إنما يمكن أن تقع مغلوبة للواقع من طريق ذات التاريخ، ولا يمكن الحيلولة دون غلبتها من خلال اللجوء إلى المعايير ما فوق التاريخية، فهو من جهة كان يعتبر جميع الأشكال التاريخية نسبية، ومن جهة أخرى كان ولا يزال متفائلاً باعتبار المعايير والقواعد المطلقة.

أبعاد المواجهة بين الرؤية التاريخية والدين:

إن الرؤية التاريخية في نظرة عامة وكلية يمكن لها في مراحل مختلفة أن تتعرض للدين والمباني اللاهوتية، وأن تحكم في تلك المرحلة على تاريخية الدين، والتعاليم الدينية، والمباني اللاهوتية، وفيما يلي نشير إلى هذا الأمر باختصار.

الرؤية التاريخية في أصل ومنشأ الدين:

إن القائلين بهذه النظرية يرون أن أساس تبلور وظهور الدين، هو وليد الظروف والشرائط الاجتماعية والنفسية للإنسان أو الطبيعية.

الرؤية التاريخية في مرحلة أخذ الدين وإبلاغه:

إن هذه الطائفة تذهب في الحقيقة والواقع إلى القول باستحالة ارتباط الإنسان بالوحي المحسن، وترى أن الوحي الإلهي ما لم يتأسس¹ فإنه لن يكون في متناول البشر، وهذا الأمر لا يعود إلى قصور في ذات الله، وإنما يعود سببه إلى القصور الذاتي للإنسان، ولتقريب هذا الأمر إلى الذهن، يمكن تشبيه هذا الرأي بنظرية المعرفة عند إيمانويل كانط ومقولاته حول الحاسة.

الرؤية التاريخية في مرحلة التطبيق الجدوائية:

إن الدين في ضوء هذه الرؤية حتى وإن كان له منشأ إلهي، وبلغ الإنسان دون انحراف ودون امتزاج بالثقافات البشرية، بيد أن جدوائية التعاليم الدينية إنما ترتبط بالأوضاع والشرائط

¹ - محمد عرب صالح، التاريخية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن على مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022، ص، ص: 78-80.

الخاصة لعصر حدوثه وظهوره، ولو افترضنا جدلاً تكرار تلك الشرائط والظروف، فإن الأديان سوف تعود إلى الظهور في مسرح حياة الإنسان مجدداً.

الرؤية التاريخية في مرحلة بناء الدين بسبب تحوله إلى معرفة دينية بشرية:

إن الدين في هذه الرؤية وإن كان له أصل ومنشأ إلهي، وأن الأنبياء قد أخذوا ذات التعاليم الدينية من الله وأبلغوها للناس بعينها، إلا أن الذي صار بأيدي الناس بعد ذلك لن يعود يعدو أن يكون مجرد معرفة دينية بشرية، وبذلك فإنها تتصف بالنسبة والتاريخانية، ويجوز عليها الخطأ وتكون قابلة للنقد والنقاش، ولن تتطوي على قداسته، ويجب التعامل معها والنظر إليها، كما ينظر إلى سائر المعارف البشرية الأخرى.

نماذج من القول بالتاريخانية في منشأ الدين:

هناك الكثير من الموارد الشاهدة على هذا الموضوع أهمها:

النظرية الاجتماعية للدين: إن هذه النظرية المطروحة من قبل إميل دوركايم، إنما تختص بالرؤية التاريخية إلى أصل ومنشأ الدين، إن هذا النوع من التحليل تم بيانه وتكميله في بدايات القرن العشرين للميلاد من قبل علماء الاجتماع الفرنسيين خصوصاً¹.

الدين والإيمان دعامة نفسية:

إن هذه النظرية بدورها كما يقول "جون ميك" تفتقر إلى الدليل المعش مثل سابقتها وتبقى فاجعة في مرحلة الادعاء ويقول "مك كوارى": "إن هذه النظرية لا تقبل الإطلاق والتعميم على كل دين، وهي دون أساس بالنسبة إلى اليهودية والمسيحية وسابقة النبي صلى الله عليه وسلم تقريباً".

إله الآمال والتطلعات المستحيلة: كانت هذه النظرية مطروحة بين عامي 1980-1987م، طبقاً لهذه الرؤية يكون الناس في بحث عن المكافآت، ومن أجل ذلك يتصورون وجود آلهة قادرة على منحهم ما يرغبون بالحصول عليه من المكافآت.

رؤية مارتن لوتر: من خلال آرائه بشأن الكتاب المقدس، يتضح باختصار أنه يرى:

- إن جميع الكتاب المقدس من بدايته إلى منتهاه ليس صحيحاً نحو حرفي، ولا تساوي جميع أجزائه في القيمة والأهمية.

¹ - مرجع نفسه، ص، ص: 81، 113.

- يمكن حذف بعض أسفار الكتاب المقدس من قبيل: سفر إستير والمكاشفة.
- إن بعض نبوءات الأنبياء خاطئة، وعليه لا يمكن اعتبار الكتاب المقدس صحيحاً ومعصوماً من الخطأ.

نقد واستخلاص بين المدرستين الوضعية والتاريخانية:

يقول الوضعيون أن التاريخ يستند على منهج الملاحظة كما هو الحال في العلم الطبيعي، ويرون أن الملاحظة قد تغني عن التجربة، علماً أن هناك من العلوم الطبيعية أنها التي تستعيز عن التجربة بالملاحظة كالبيولوجيا وعلم الفلك، أما التاريخانيون فقد انتقدوا الوضعيين معتبرين أن التاريخ والطبيعة موضوعان متميزان ولا تاريخ إلا لأفعال الإنسان، وأن عمل المؤرخ لا يكمن فحسب في معاينة المادة التاريخية بشكل تقني، بل أكثر من ذلك أنه يعمل على إعادة بعث الماضي لجعله يعيش في الحاضر بصورة كذلك كان كل التاريخ معاصراً بحسب "كروتشه".

إن العملية في التاريخ تختلف عن العملية في العلوم الطبيعية، لأن وقائع التاريخ تتصل بالإنسان وأفعاله تمتاز بالحرية لا يحكمها قوانين الحتمية، كما أن التاريخ مليء بالمفاجآت والصحف غير المتوقعة، ومن ثم لا يمكن تطبيق القوانين الطبيعية الثابتة على الظواهر مهما طال زمانها، لكن الوضعيين يعتبرون على التاريخانيين لتمسكهم بنظرية الصدفة والمفاجأة، معتبرين ذلك نوع من الهروب من الفوضى في استنباط الحقائق، فالقول أن مجتمعا أو دولة هزمت بسبب وفاة قائدها مثلاً إنما دلالة على مجتمع متهالك ربط مصيره بشخص، إنه لا مجال للقمع أو الأحكام الكلية في التاريخ، إنما يذكره المؤرخ من أحكام إنما تأتي عفواً عن غيره قصد، ولا يستطيع أن يثبتها بصفاتها قوانين كلية استخلصها في بحثه، أي أنه لا مجال للتنبؤ التاريخي الجزم بالحوادث استناداً لأسبابها، لأن التاريخ لا يعيد نفسه لكن يعدل نفسه¹.

التاريخانية عند عبد الله العروي:

¹ - محاضرة في مادة المدارس التاريخية، مستوى السنة الأولى ماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة خميس مليانة.

عبد الله العروبي مفكر عربي قدم مشروعا فكريا لدراسة المجتمع العربي وحالة التأخر التي تعيشها هذه المجتمعات العربية منذ عقود، فقد استخدم التاريخانية كمنهج وأداة نقدية للأيديولوجيا للخروج من حالة التأخر التي نعيشها منذ زمن، وربط الرؤية المروية التاريخانية بأحداث الربيع العربي أواخر 2010 محاولة لعلاج قضايا في المنطقة العربية.

تعريفه:

عبد الله العروبي: هو مفكر مغربي ولد في 1933م، حصل على عدة شهادات مغربية في التاريخ والسياسة، وختم اختصاصه كدكتوراه دولة في التاريخ سنة 1976، عاش مدة طويلة في فرنسا تأثر بالثقافة الغربية، واهتم في بداية حياته بقراءة المفكرين المصريين وهم محمد عبدو ورفاعة الطهطاوي¹، وقاسم أمين وجمال الدين الأفغاني ولطفي السيد، إلى جانب قراءته للفلسفة الألمانية الهيجلية والماركسية، وقراءته في الأصول الليبرالية وفلسفة الأنوار، جميعا عمقت من إمكانات العروبي في بناء تصور أسئلة التاريخ، ويعتبر أيضا ناقد ومحلل سياسي وروائي وكاتب ومفكر ومؤرخ.

مؤلفاته: كتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ومنه أنتج مشروعه في التاريخانية، كتاب المتقنين العرب، ثقافتنا في ضوء التغيير، السنة والإصلاح وغيرهم.

الروايات: رواية اليتيم.

نقد روي كلوزر:

صرح البروفسور روي كلوزر بأن هذا المذهب يعاني من عدم الانسجام الذاتي، بمعنى أنه يبطل نفسه بنفسه، ووضح ذلك من خلال "فيلهم دلتاي" في سعيه إلى تحرير الإنسان من "سلطة العلم المفهومي"²، وتخليصه من قيود الفطريات الجافة والسلطوية، عهد إلى نسبة أي مذهب أو عقيدة مهما على كعبها إلى قدرة البشر، إن الإشكال يكمن في أننا لولا قلنا بأن جميع المعتقدات، إذ لا يمكن لنا أن نحدد بشكل دقيق إلى أي شيء كانت تشير، وما هو

¹ - رفاعة الطهطاوي: أحد قادة النهضة العلمية في مصر والعالم العربي خلال القرن 19، عيّنه محمد علي باشا إماما للبعثة العلمية في فرنسا، أهم كتبه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

² - كريس هرمان، كيف تعمل الماركسية، ترجمة: وحدة الترجمة، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، الطبعة 1، 2009.

الموضوع الذي نتحدث عنه، تحظى بمكانة متكافئة ومتساوية، ألا ينبغي ملاحظة ذات هذه النتيجة في مورد نظرية الرؤية التاريخية نفسها؟.

إن هذه النظرية عل حد تعبيرها هي ذاتها حكاية قد أبدعناها وأسسنا لها دون أن يكون لدينا طريق إلى تحديد وإثبات تطابقها مع الواقع، وفي هذه الحالة تفشل نظرية الرؤية التاريخية بوصفها رؤية بشأن التجربة والعلم البشري، إذ من خلال الرجوع إلى ذات هذا المذهب، نرى أنها تعاني من التناقض وعدم الانسجام في ذاتها، وقد عبر روي كلوزر عن هذا الإشكال بعدم الانسجام من حيث المرجعية أو التناقض الناظر إلى الذات¹.

نقد بوبر للتاريخانية:

النظريات التاريخية المضادة للمذهب الطبيعي:

1- التعميم:

المذهب التاريخي يفترض أن هناك إمكانية لتطبيق مبدأ التعميم، ونجاحه في العلوم الطبيعية، وذلك راجع إلى إطاراد الحوادث الطبيعية بحيث أن الظروف المتشابهة سوف تؤدي إلى حوادث متشابهة، فالمبدأ التعميمي هو قوام وأساس المنهج الفيزيقي²، من الواضح أن الفكرة المتعلقة بالأفراد لها صلة بظهور العلوم الحديثة، فمع ازدياد ظهور العلوم المختلفة، تم افتراض وجود إطاراد في سير الطبيعة من خلال القيام بعمليات التجربة بشكل ممنهج، فهو يهدف إلى إحداث وضع حدوث نتائج بشكل عبيث، بل الغرض منه هو التحكم في سير الطبيعة³.

وبخلاف العلوم الطبيعية فإن المذهب التاريخي مبدأ التعميم لا جدوى منه في العلوم الاجتماعية، فالأحداث المتماثلة ينجم عنها نتائج متماثلة في العلوم الطبيعية، وهذا ما لا في العلوم الاجتماعية إلا في نفس الفترة التاريخية، فالمذهب التاريخي يفتقد عدم وجود إطاراد

¹ - محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن على مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022، ص، ص: 78-80.

² - النقد الابستمولوجي للنزعة التاريخية عند كارل ريموند بوبر، مذكرة ماستر تاريخ الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص، ص: 37-42.

³ - المصدر نفسه، ص: 37.

طويل المدى في المجتمع، لا يوجد تعميمات للاطرادات الاجتماعية، فنتبع طرق التعميم المعمول بها في العلوم الطبيعية وتطبيقها على علوم الاجتماع لنا نظرية نظرة الإبداع¹.

التجربة:

كما هو معروف أن التجربة هي الأساس الذي تقوم عليه العلوم الطبيعية، ففي العلوم الطبيعية يتم عزل الظاهرة الفيزيائية بغرض التوصل إلى نتائج متماثلة مرة تلو الأخرى، وهذا ما لا نستطيع فعله في علوم الاجتماع، فبحسب المذهب التاريخي فإن التجربة في العلوم الاجتماعية لا طائل منها².

المناهج الكمية:

حجة المذهب التاريخي ضد المناهج الكمية هي: أن عالم الاجتماع مهمته الحصول على تفسير كلي للتغيرات التي تعانيها على مر التاريخ، كالدول والنظم الاقتصادية وأنواع الحكومات، وذلك بالتعبير الكيفي، وهنا نفهم أن العلوم الاجتماعية يغلب عليها الطابع الكيفي ولذلك تتألف القوانين الفيزيائية³.

يعتقد المذهب التاريخي أنه يجب على العلوم الاجتماعية أن تسير وفقا للطريقة الكلية، فالجماعات تتميز بالطابع الكلي، ولهذا لا يمكن تفسيرها تفسيراً تاماً بأنها مجرد جماعة مؤلفة من أفراد، فالأبنية الاجتماعية هي الأخرى لا يمكن تفسيرها بأنها تأليفات مركبة من أفراد فحسب، ولذلك يصعب علينا تفسيرها تفسيراً دقيقاً ومحكماً، أما الأبنية الفيزيائية فيلح المذهب التاريخي على أنها مجرد تركيبات من مجموعة أجزاء، ويعتبر الاتجاه الكلي طريقة

¹ - التعميم: عملية يعترف من خلالها بسميات مشتركة بين عدة أشياء فردية، وتجمع هذه الأشياء في مفهوم وحيد حين تشكل هذه السمات مضمون المفهوم.

إطار: افتراض أن ما يحدث من الظواهر الطبيعية في المستقبل يطود مع ما حدث في الماضي يحدث في الحاضر
² - كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي: دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار المعارف، الإسكندرية، 1959، ص 18.

³ - كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار الساقي للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1992، ص: 13.

لا غنى عنها في بيان كيفية تأثير سلوك الكائنات العضوية بتاريخها، وهذا ما يؤكد التشابه بين الكائنات العضوية والجماعات¹.

النقد الماركسي:

وفقا للماركسية، تعتبر التاريخانية نتاجا للتفاعل بين القوى الاقتصادية والاجتماعية، ويرى "ماركس" أن الصراع بين الطبقات الاجتماعية هو المحرك الرئيسي للتغيير التاريخي عند تطبيق هذا النقد على المدرسة التاريخانية، يتم التأكيد على أن الفروق الاجتماعية والاقتصادية تلعب دورا حاسما في تشكيل المدرسة وتوجهاتها، حيث يعتبر أيضا المنهج التاريخاني الذي يركز على الدراسة الواسعة للأحداث التاريخانية والتطورات الاجتماعية والثقافية، تحت تأثير الهياكل الاقتصادية والطبقية، عرضة للانتقاد، ويعتبر ماركس أن المدرسة التاريخانية تنعكس فيها هيمنة الطبقة الاجتماعية الحاكمة وتعكس مصالحها، مما يؤدي إلى تشويه تفسيرات التاريخ وتقديمها بطريقة تعني في مصلحة الطبقة الحاكمة².

وأما فيلهلم دلتاي فيؤكد أن الإنسان من حيث علاقته بالتاريخ نتاج الماضي، ذلك أن الحياة البشرية طابعها الاستمرار، وكل لحظة مرتبطة بأخرى لتكون وحدة متكاملة، والحياة الإنسانية أيضا تمتاز بالتغير والتنوع والديمومة، ولا بد للمؤرخ من حاسة تاريخية كي يدرك ذلك، ومن ثم تجنب النظر إلى الماضي باعتباره صورة مكررة أو مماثلة للحاضر، ويعطي أمثلة من التاريخ الروماني من خلال التمايز الطبقي مثلا (قنصل، نبيل، عبيد...)، لا يصح أن تفهم تلك المسميات كما هي الآن بل في سياقها التاريخي في الزمان والمكان، وذلك هو الخطأ الذي وقع فيه مؤرخو التنوير والمدرسة الوضعية.

إذا فقد أصرت المدرسة التاريخانية عن التفرقة بين العلوم الطبيعية وبين التاريخ، وتتضح هذه التفرقة لدى "فيلهلم فيند لباند" الذي ميز بين العلوم "واضعة القوانين" و"علوم مصورة للأفكار"، والفرق بين العلم والتاريخ هو الفرق بين الممكن والواقع وبين الكلي والجزئي، والمؤرخ في نظريته للماضي يشبه الفنان، كلاهما يتمثل الواقع بنظرة فردية، وأنه لا

¹ - كارل ماركس، رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة: فهد كم نقش، دار النقدم، موسكو، 1985، ج1، ص: 439.

² - ماركس كارل: 1818-1883، فيلسوف اقتصادي ألماني، حاز على الدكتوراه في الفلسفة سنة 1841 أهم مؤلفاته، نقد فلسفة هيغل في الدولة 1844م. كارل ماركس، رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، المصدر السابق، ص: 44.

بد من تبني وتمثل الوقائع الماضية، ومحاولة صياغتها والغوص في تفاصيلها لدراستها وإصدار الأحكام حولها.

تعتبر مقارنة "كروتشه" المنهجية للفلسفة عن نفسها من خلال تقسيمه للروح، أو العقل إذ يقسم النشاط العقلي أولاً إلى الجانب النظري، ثم الجانب العلمي، وينقسم الجانب النظري بين الجماليات والمنطق، وأهم ما تتضمنه هذه الجماليات النظرية هو الحدس والتاريخ، وفي حين يتضمن الجانب المنطقي كلا من المفاهيم والعلاقات، أما الروح العملية فتهمم بالاقتصاد والأخلاقيات، ويجب فهم الاقتصاد هنا على أنه مصطلح شامل لكل المسائل النفعية.

ولدى كل من هذه الأقسام بنية ضمنية تملئ نمط التفكير الذي يتلاءم معه، فبينما يقوم حافز الجمال عدم الجماليات يكون المنطق تابعاً للحقيقة، ويهتم الاقتصاد بالأمور المفيدة، أما الأخلاقيات فترتبط بالخبر، يعد هذا المخطط وصفياً من ناحية أنه يحاول شرح منطق الفكر البشري غير أنه تقريرى في الآن نفسه، من ناحية تشكيل هذه الأفكار لأساس المزاعم والثقة المعرفية¹.

كروتشه (Benedette crosse) 26 فبراير 1866م، 20 نوفمبر 1952، كان فيلسوف مثاليا ومؤرخاً وسياسياً إيطالياً، تناول موضوعات عديدة في كتاباته من بينها الفلسفة والتاريخ وعلم التاريخ والجماليات، تشير معظم وجهات النظر إلى أن كروتشه كان ليبرالياً رغم معارضته للتجارة الحرة وفق مبدأ عدم التدخل، وكان له من تأثير معتبر على مثقفين إيطالياً آخرين من بينهم الماركسي أنطونيو غرامشي والفاشي جيوفاني جنتيلي، شغل كروتشه منصب رئيس نادي القلم الدولي، رابطة الكتاب العالمية، منذ عام 1949 حتى عام 1952 ورشح بجائزة نوبل للأدب 16 مرة.

اكتملت النزعة التاريخية لدى المفكر الإيطالي "كروتشه" الذي انتقد الأسس التي قامت عليها المدرسة الوضعية ونزعتها الطبيعية، ولا يرى أن البحث التاريخي موضوعياً بمجرد جمع المادة التاريخية وتحليلها، بل بالبحث عما وراء المادة أو الوقائع التاريخية، ولا يعد تاريخاً عنده مجرد تسجيل الوقائع الماضية الميتة، ويرى أنه لا مجال للتنبؤ في التاريخ

¹ - محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، المرجع السابق، ص، ص: 78-80.

لأننا لا نملك المستقبل، وإذا كان نابليون "لم يستطع أن يحدد مصير معركة ما منذ بدايتها وكيف يمكنه للمؤرخ أن يحدد مستقبل الإنسانية؟".

فلسفة كروتشه هي فلسفة المثالية المطلقة ومذهبه الفلسفي يضع أربع درجات في هبوط عالم الروح"، وهي الدرجة الجمالية (تجسد روح الفرد) والدرجة المنطقية لمجال العام)، والدرجة الاقتصادية (مجال المصلحة الخاصة) والدرجة الأخلاقية (مجال المصلحة العام). وكان لنظرية كروتشه الجمالية تأثير بالغ على النقد الفني في مرحلة البرجوازية، فقد عارض الفن باعتباره معرفة حدسية بالفرد المتجسد في الصور الحسية بالاستدلال العقلي، باعتباره عملية عقلية للمعرفة، ويسعى مذهب كروتشه الأخلاقي إلى إخفاء الأساس الاجتماعي والطبيعة التطبيقية للأخلاقيات، وتروج فلسفته الأخلاقية لمبدأ إخضاع الفرد للـ"كلي" أي إخضاع الفرد للنظام الاستغلالي السائد، وكان كروتشه ايديولوجيا بارزا وزعيما سياسيا للبرجوازية والليبرالية الإيطالية، وكان خصما للفاشية¹.

ومن منظري هذه المدرسة المعاصرين أيضا نجد كولينجود collingrod مؤلف كتاب "الفكرة في التاريخ"، والذي يتفق مع كروتشه في عدم صلاحية المنهج التجريبي لعلم التاريخ الواقعة التاريخية ليست معطاة كما هي الحال في العلم الطبيعي، ولأنه أيضا لا تاريخ للطبيعة ويرى أن التاريخ ليس مجرد وثائق ومستندات، وأن اكتفاء المؤرخ بمجرد التجميع يجعل عمله أقرب من عملية "القص واللصق" ومنه مجرد كاتب حوليات.

إن المؤرخ بالنسبة لكولينجود لا ينظر إلى مادته التاريخية نظرة خارجية أو سطحية، بل يفحص الوقائع بمعنى الإعادة ليكشف الفكر الذي بداخلها ويحركها، ويكتشف الفكر الكامن وراء ما تسرده تلك الوقائع، بمعنى إعادة التفكير فيها على النحو الذي حدثت في الماضي. لكن مما أخذ على التاريخانية أنهم أرخو للحدث في جزئته، ورفضوا التعميم في دراستهم للظواهر، كما أنهم رفضوا وجود أبهة حقيقية موضوعية، والسقوط في النسبية في الحكم على الإجراءات التاريخية، أي رفض إطلاق أي حكم على الفاعل التاريخي، وهو ما يؤدي للعممية أو التسامح المطلق مع الفاعل التاريخي.

استنتاج: من خلال ما سبق يتضح ما يلي:

¹ - محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، المرجع السابق، ص، ص: 78-80.

* كانت الرؤية التاريخية منذ القدم، ضمن دائرة الأبحاث الواسعة في فلسفة الغرب، ولا سيما في ألمانيا التي تعد معقلا ومهدا لهذه الأبحاث.

* يتجه المذهب التاريخاني إلى الاعتقاد بأن كل شيء يصبح من الماضي، فإنه ينتمي إلى التاريخ.

* المدرسة التاريخية كانت منارة رائدة في التاريخ الإسلامي، حيث تميزت بتطوير نظريات تاريخانية مبتكرة وإسهامات فلسفية هامة، كانت تعتبر مركزا للمعرفة والثقافة، حيث تم تأسيس مدارس تعليمية ومراكز بحثية تعززت بالمكتبات الضخمة، حيث استمرت تأثيرات المدرسة التاريخية على التاريخ والفكر الإسلامي حتى اليوم.

* إن المدرسة كانت محورا أساسيا لنشر المعرفة والفلسفة في العصور الإسلامية.

لها دور كبير في تطوير العلوم الاجتماعية والتاريخية وتعزيز الفهم العمقي للماضي.

المحاضرة رقم: 08: المدرسة الوضعية:

المبحث الأول : ظهور المدرسة الوضعية:

ظهرت هذه المدرسة في وقت قويت فيها حركة القوميات بأوربا في أواخر القرن التاسع عشر، في إطار الجمهورية الثالثة الفرنسية وعزمها على استعادة منطقة الألزاس- لوران، وبرنامجها الاستعماري التوسعي، حيث أفصح رائد هذه المدرسة بفرنسا المؤرخ مونود في البيان الذي نشره في 1876م بمناسبة صدور العدد الأول من المجلة التاريخية عن مبادئ المدرسة، وفرض بحث علمي في التاريخ بعيد عن كل المزايدات الفلسفية، وبلوغ الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ، مع تطبيق تقنيات صارمة في جرد الوثائق ونقدها، ومما ساهم في نمو هذه المدرسة تواجد مؤرخيها ضمن إطار التدريس بمختلف الجامعات و على رأس إدارة بعض المجموعات العلمية والتاريخية الكبرى، مثل تاريخ فرنسا وتاريخ الشعوب والحضارات.

كما ساهم هؤلاء المؤرخون في ضبط البرامج التعليمية وتأليف الكتب المدرسية لتلاميذ المعاهد الثانوية والمدارس الابتدائية، والتي من خلالها عملوا على غرس في الناشئة قيم

النظام الجمهوري، وتغذية الشعور القومي وتدعيم السياسة الاستعمارية التوسعية، وبالتالي فإنهم حرصوا على تمرير خطاب إيديولوجي معين¹.

ولما أعلنت "المجلة التاريخية"، ومن ورائها أنصار المدرسة الوضعية حيادها وعدم انحيازها في كتابة التاريخ، وصدها عن النظريات السياسية والفلسفية وتسخير نفسها "للعلم الوضعي" الذي هو التاريخ، فقد انتصبت هذه المدرسة مدافعة عن نظام أخلاقي قائم على تنمية الشعور القومي الذي يستمد جذوره من الماضي، أي من التاريخ الذي لا بد أن يدرس اعتمادا على الوثائق المكتوبة وبالتركيز على الوقائع، أما مهمة المؤرخ الرئيسية فهي تجميع الوثائق والعمل على صيانتها وحفظها في دور الأرشيف، واستغلالها بكل تجرد وحياد على غرار ما كان دعى إليه من قبل رائد المدرسة الوضعية المؤرخ الألماني "ليوبال فان رنك" الذي عاش ما بين 1795 - 1886م، فهذا المؤرخ الألماني قد سيطر على الكتابة التاريخية في منتصف قرن 19م من خلال نظريته القائمة على المبادئ التالية:

- تتمثل مهمة المؤرخ في وصف ما وقع حقيقة في الماضي، وليس في تقييم ذلك.
- حياد المؤرخ التام تجاه الأحداث التي يكتب عنها.
- التاريخ هو بمثابة المرآة العاكسة للماضي، وعلى المؤرخ تسجيل الحدث بكل تجرد وموضوعية.

هذا وقد أخذت المدرسة الفرنسية عن المدرسة الألمانية تلك المبادئ، خاصة وأن جل أفرادها

قد أقاموا بعض الوقت بألمانيا مونود وسينوبوس ولافيس ودرسوا بجامعة، فنقلوا إلى فرنسا أفكار رنك ونظرياته في كتابة التاريخ ونقد الوثائق ودور المؤرخ في كل ذلك، ويعترف مؤرخو المدرسة بفرنسا بالخدمات الجليلة التي قدمها المؤرخون الألمان إلى البحث التاريخي

¹ - فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م، ص، ص: 104، 105.

أمثال رنك ونيبور ولاسن، وغيرهم وما قاموا به في مجال تجميع الوثائق في فهارس متميزة كالتالي خصصت للنقاش¹.

فالتاريخ في نظر الوضعيين هو قبل كل شيء انعكاس محتوى الوثائق المكونة لرصيد المؤرخ المعرفي، فعلى هذا الأخير البحث عنها والعمل على حفظها وصيانتها في المتاحف والمكتبات العمومية والخاصة، ودور الأرشفة وضبطها في فهارس ثم يقوم المؤرخ في مرحلة أخرى بنقد الوثائق على المستويين الخارجي والداخلي، وهذه المرحلة التحليلية وعملية التأليف التي تتم بدورها على مراحل هي:

- مقارنة الوثائق.

- تجميع الأحداث في أطر عامة مثل المعطيات الطبيعية والأنشطة الاقتصادية والفئات الاجتماعية والمؤسسات السياسية، وإقامة العلاقات بين هذه الأحداث، وأخيرا التأليف ونظرا لتشعب العمليات يستحسن تقسيم العمل.

إلا أن هذه المدرسة التي كانت تدعو نظريا الى الموضوعية المطلقة، كرس في الواقع لإنتاجها لخدمة مبادئ الجمهورية الثالثة ونزعتها الاستعمارية خاصة بواسطة كل محتويات المجلة التاريخية والكتب المدرسية، فقد ساهم مؤرخو المدرسة الوضعية في وضع الكتب المدرسية خاصة في مواد التاريخ والجغرافيا والتربية المدنية، حيث الخطاب الايديولوجي مركزا على حب الوطن والنظام الجمهوري، وتعليل الظاهرة الاستعمارية على أن لها رسالة حضارية، وتجعل من البلد المستعمر قوة اقتصادية².

المبحث الثاني: تعريف المدرسة الوضعية:

هي المؤسسة ذات الحجرات التي تلقن الدروس، بل هي في هذا السياق رابط منهجي فكري ينطوي الباحثون، يقتسمون الباحثون التوجهات الفكرية والمنهجية نفسها، يقول أحد

¹ - مرجع نفسه، ص، ص: 105، 106.

² - فريد بن سليمان، المرجع نفسه، ص، ص: 106، 107.

المؤرخين عن المدرسة أنها "جماعة من المؤرخين يرتبطون فيما بينهم بنسب منهجي وفكري على مدى أكثر من جيل واحد".

كما يرى المفكر "أغست كونت" أن التاريخ الإنساني مر بين المرحلتين الطفولتين، وأنه ما من طفل إلا قطع المرحلتين في طفولته قبل أن يبلغ النضج الوضعي، حيث يقول: "إن فرع من فروع معرفتنا تمر على التوالي بثلاث حالات نظرية مختلفة، الحالة اللاهوتية أو التخيلية، الحالة الميتافيزيقية أو المجردة، ثم الحالة العلمية أو الوضعية، أما الحالة الفلسفية فالتغيير فيها بسيط مقارنة بالحالة اللاهوتية السابقة، ويتمثل هذا التحول في تعويض القواعد المتعالية الفوق الطبيعية بقوى أخرى مجردة، والهدف هو الوصول إلى ربط الظواهر المختلفة بقانون عام الواحد يفسره ويشرحه، باعتماد على منهج التجريبي مثل قانون الجاذبية¹.

وهناك مجموعة من الفلاسفة استعملت اصطلاح "وضعية"، واستطاعت تكوين مدرسة فلسفية مستقلة سميت بالمدرسة الوضعية المنطقية أو المدرسة التجريبية المنطقية، وتعاليم هذه المدرسة الفلسفية تتلخص في الحقيقة القائلة بأن معنى أية عبارة أو جملة يجب أن يتحدد بطريقة البحث عن إثبات صحتها ووجودها، والعبارات التي لا يمكن إثبات صحتها هي عبارات لا معنى لها كالعبارات اللاهوتية والميتافيزيقية، وأول من استعمل هذا الاصطلاح العالم الاجتماعي الفرنسي "أوكست كونت" 1798-1857م، في حقل الفلسفة، وقد كتب عنه الكثير في معظم مقالاته ودراساته الفلسفية والاجتماعية.

ومبدأ الفلسفة الوضعية يهدف الى تفسير طبيعة التقدم التاريخي للمجتمع، وطبيعة علم الاجتماع كعلم مستقل، اعتقد كونت بأن التقدم التاريخي للمجتمع يمر بثلاث مراحل لها مميزاتها الخاصة وطابعها المعلوم، وهذه المراحل هي أولاً المرحلة الدينية اللاهوتية التي تتحول الى المرحلة الميتافيزيقية المثالية، وهذه سرعان ما تتحول الى المرحلة العلمية الواقعية التي يظهر فيها علم الاجتماع لدراسة الإنسان ومجتمعه دراسة علمية، في المرحلتين الأوليين يقوم الرجال ببحث الأسباب الأولى والنهائية للأشياء والظواهر الطبيعية والاجتماعية، وفي

¹ - فهمية سعودي، "الكتابة التاريخية الغربية: المدرسة الوضعية والحوالية نموذجاً"، مجلة المفكر، المجلد: السادس، العدد: الأول، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، ص: 246.

المرحلة الثالثة يبدأ العلماء بالبحث عن الأسباب الموضوعية للحوادث، مركزين على عملية تكوين القوانين الكونية التي تفسر ماهية الأشياء والظواهر تفسيراً علمياً حياً.

وبعد أن تتسم هذه القوانين بصفة السهولة والمرونة وقلة الكلمات والتعابير تسمى بالقوانين الوضعية، إلا أن البروفسور كارل بوبر ينتقد أوكست كونت لعدم تمييزه بين مبدأ الاتجاه عندما يتكلم عن القوانين الوضعية التي تفسر الوجود والواقع الاجتماعي، ويضيف بوبر قائلاً أن أوكست كونت قد وقع في خطأ كبير عندما اعتقد بأن القوانين الأساسية للحياة هي التي تكون القوانين الأساسية للحياة، لم يرث كونت من سانت سيمون الأساليب النظامية للطريقة العلمية فحسب، وإنما ورث منه أيضاً مبدأ ضرورة اعتماد الدراسة الاجتماعية والعقلية على الطريقة العلمية، وهذا معناه بأن كونت تأثر بالطريقة العلمية التي استعملها سانت سيمون في دراسة جوانب الحياة الاجتماعية، فجميع المنظمات الاجتماعية كالعوائل والكنائس والمدارس ينبغي أن تتحول إلى منظمات وضعية تتولى الإشراف على التربية الأخلاقية وتضمن صفة التفكير العقلي الذي يجب أن يتحلى بها المجتمع الجديد.

وهناك مجموعة من الفلاسفة استعملت اصطلاح وضعية (وضعي) واستطاعت تكوين مدرسة فلسفية مستقلة سميت بالمدرسة الوضعية المنطقية أو المدرسة التجريبية المنطقية .

الخلاصة بأن للوضعية معنيين مستقلين بعضهما عن الآخر:

المعنى الأول هو أن العلوم الطبيعية هي العلوم الوحيدة التي تتسم بالطابع الوضعي، والمعنى الثاني يحاول اعتبار الفلسفة والعلوم الإنسانية علوماً وضعية أيضاً، هذا وقد حمل مشعل هذه المدرسة في ما بعد المدرسة الفرنسية، مع المؤرخين لانجلوا وسينوبوس، فهذه المدرسة مزيج بين الحس الأرشيقي الوطني والقواعد التي وضعتها المدرسة الوضعية في ألمانيا في شخص "رانكة"، والاهتمام بالأرشفة إنجاز أوجدته الثورة الفرنسية .

ومن زاوية أخرى كان للمدرسة الوضعية في فرنسا ترويج لأدبيات الوضعية التاريخية، كتاب مشترك لأنجلوا وسينوبوس "مدخل إلى الدراسات التاريخية"، وتناول فيها البحث عن الوثائق وهي عبارة عن رؤية منهجية للمدرسة الوضعية، ولا سيما أن التاريخ يصنع بالوثائق،

وتجدر الإشارة ما يقلل من دقة المنهج التاريخي في نسق الكتابة الوضعية المعتمدة على الوثائق، ليس استنادها في كتابة التاريخ بالوثائق فحسب، بل جملة من ثغرات ونقائص تتخلل هذه الوثائق أيضاً، فالوثائق حسب المؤرخين ليست نسخاً أصلية، وهدف المؤرخ هو الوصول إلى النسخة الأصلية أو النص الأفضل على الأقل للاشتغال عليها¹.

المبحث الثالث: الإطار التاريخي لفلسفة كونت الوضعية:

الفلسفة الوضعية والاتجاهات النقدية، فهناك سمة طبعت موقف الفلسفات التقليدية – من أفلاطون إلى كانط – من العقل، وهي اعتبار العقل حائزاً بصفة قبلية لكل المقولات اللازمة لمعرفة العالم الخارجي، أي حاصل بصورة سابقة على التجربة على استعدادات ذهنية، لا أثر للتجربة ولا حتى لتطور المعارف عليها، فهي تعتبره عقلاً نهائياً كامل البناء لا يخضع لأي علاقة جدلية مع المعارف التي ينتجها، كما لا تنشأ مبادئه من خلال عمليتي استيعاب الوقع والتلاؤم معه، ولم تنشأ نظرة جديدة إلى العقل بالمفهوم الواسع إلا بتأثير من الثورة العلمية التي هدمت المطلقات، وكرست في مقابل ذلك نظرة تقول أن للعقل بنية قابلة للتغير وأن للمعرفة تاريخاً.

ومن هذا المنطلق فإنه يمكن فهم الحركة الوضعية على نحو أفضل إذا عرفنا الخصم الذي كانت الفلسفة الوضعية تحاربه، فالفلسفة الوضعية كانت رد فعل على الاتجاهات النقدية للمذهب العقلاني الفرنسي والألماني على حد سواء، فهي من جهة رد فعل على الاتجاهات النقدية في ألمانيا ممثلة في مذهب "كانط" ومذهب "هيجل"، ومن جهة أخرى فهي رد فعل على الاتجاهات العقلية النقدية الفرنسية ممثلة في فلسفة "ديكارت" وعصر "التنوير"، وهكذا يمكن القول أن الفكر الأوربي دخل الوضعية بعد وفاة هيجل، لذلك فالفلسفة الوضعية كانت أقل طموحاً من الفلسفات العقلية التقليدية، على الأقل لم تنسب إلى نفسها مهمة التشريع فيما يتعلق بالمنهج، هذا وقد نشأ في ميدان العلوم الإنسانية علم جديد، هو علم

¹ – فهمية سعودي، المرجع نفسه، ص: 247.

الاجتماع على أيدي علماء فرنسيين مثل أوغست كونت وأميل دوركايم وبعض العلماء الألمان، وقد دار في الفترة بين 1895 و1905¹.

المبحث الرابع: مفهوم الفلسفة الوضعية:

هي فرع من الفروع الابستمولوجيا التي نشأت في القرن الثامن عشر، وكان تيارا نقیضا لعلوم اللاهوت والميتافيزيقا الذين يعتمدان على المعارف الإيمانية والاعتقادية غير التجريبية، لذلك المنهج التجريبي الاستقرائي هو منهج اتبعه الفلاسفة الوضعيون، وعليه أيضا رأت الفلسفة الوضعية أن البحث الفلسفي لا يجوز أن يتعدى ما هو محسوس ومادي، وكان لهذه الأفكار جذور في الفلسفة اليونانية.

تعود بدايات هذه الفلسفة إلى الفيلسوف الإنجليزي "فرانسيس بيكون" 1626/1561م، وفرانسيس بيكون يعتبر مؤسس للنزعة التجريبية الحديثة في الفلسفة، ومن الأوائل الذين حاولوا بناء المنهج العلمي الجديد الذي يركز إلى الفهم المادي للطبيعة وظواهرها، حيث اعتمد العلم التجريبي في وضع أسس الاستقراء العلمي، لا سيما عن العلم الجديد داعيا إلى التحرر من أخطاء العقل المتمثلة بالأوهام مثل: أوهام قبيلة، الكهف، السوق المسرح كان لبيكون إرهابات فلسفية وضعية، إن العلوم التجريبية لا تتقدم، اكتفت الفلسفة بدراسة الميتافيزيقا والأنطولوجيا².

المبحث الخامس: روادها:

1- أوجست كونت: ايزدور أوجست كونت ماري فرانسوا كزافي كونت، ولد بمدينة موبيلي يوم 19 جانفي 1778م، ولقب ب: "أوجست"، وينتمي إلى الكاثوليكية، وفي سن مبكر وبالضبط سنة 1818م تقدم كونت لاجتياز امتحان دخول المدرسة البولتكنيك، ولكنه لم يدخلها إلا سنة بعد ذلك، وفي سنة 1816 كان يتردد كثيرا على كلية الطب، وفي هذه

¹ - الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، الطبعة 1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013، ص: 59.

² - كارول الخوري، الفلسفة الوضعية: تعريفها، مؤسسها وتأثيرها في الفكر العربي، مؤسسة تكوين، 2024، ص: 03.

الفترة يكتب أول نصه له موجه للشعب الفرنسي تحت عنوان أفكار -الانسانية الحقيقة - العدالة - الحرية - الوطن التقارب بين نظم الحكم لسنة 1793 ونظام 1816م.

وفي سنة 1826م بدأ كونت في إعطاء دروس في الفلسفة الوضعية بشقته، وبحضور شخصيات فكرية معتبرة، ولكنه توقف عن العمل عند الحصة الثالثة لأسباب مرضية يقال أنها حالات جنونية دفعت به إلى محاولة الانتحار، إذ رمى بنفسه في نهر السين من فوق جسر الفنون لولا أنقذه حارس ملكيا، وفي نفس السنة يستأنف كونت دروسه في الفلسفة الوضعية، وفي 1830م، يظهر الجزء الأول من الدروس وظهرت له كل أجزاء الدروس بين الفترة الممتدة من 1830 - 1842م¹.

و في بداية سنة 1844م نشر كونت دراسة فلسفية لعلم الفلك الشعبي لكن طبعه كان صعبا، الأفكار الايجابية والسلبية حول تعليم الرياضيات، انتقاداته غير المعتدلة لبعض الشخصيات الرياضية والفلكية التي تظهر اتجاهاته الاصلاحية، يفقده هذه السنة إحدى الظائف بمدرسة البولتكنيك، وتجلب له الكثير من الرضا فالعالم اميل ليتري الذي كان يملك السلطة والجاه، ينشر لكونت في (الوطن) ستة مقالات حول دروس الوضعية دون أن يتردد في الإعلان عن انضمامه إلى تصورات الكونية، ومن جهة أخرى حوّن ستيوارت ميل الذي كتب بسخاء إلى صديقه كونت، "أن كل تفكير في كل ضيق مادي وحقيقي، هو ممنوع ما دمت أنا حيا، لو كنت أملك فلسا واحد فسوف نتقاسمه معا"²، ومن أهم أعمال كونت نذكر دروس الفلسفة الوضعية 1830-1842م، نضام السياسة الوضعية، أطروحة في سوسيولوجيات وتأسيس الدين والكتابات الباكرة.³

2: دوركايم إميل:

¹ - الطاهر مولف، العقل الوضعي عند أوجست كونت، أطروحة ماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 18 جوان 2008، ص: 18.

² - الطاهر مولف، العقل الوضعي عند أوجست كونت، مرجع نفسه، ص: 19.

³ - ميشيل بورديو، أوغست كونت، ترجمة: خالد أبو هريرة، موسوعة ستانفورد للفلسفة، 19 جوان 2022، ص: 02.

إميل دوركايم، سوسيولوجي فرنسي بارز، عاش في الفترة ما بين عامي 1858 و1917، يعتبر من أوائل العلماء في ميدان علم الاجتماع الذين اتجهوا نحو العمل الأكاديمي، وله تأثير كبير في تطوير هذا العلم، ولد في فرنسا، وكان والده حاخاما يهوديا يأمل أن يتبعه ابنه نهج العائلة ويصبح رجل دين، بدأ دوركايم رحلته الأكاديمية بعد قبوله في المدرسة العليا عام 1879، حيث التقى بعدد من العلماء المرموقين في ذلك الوقت¹.

يشير دوركايم إلى جميع عناصر المجتمع بما فيها الدين والأخلاق تمثل جزء من العامل الطبيعي، وبالتالي يمكن دراستها علميا، وأن علم الاجتماع هو علم المؤسسات الذي يتصل بالطرق الجماعية للتفكير والشعور والتصرف، وأن أهم عناصره هو الطريقة الاجتماعية، ويحاول توضيح فكرة أن المجتمع ليس مجموعة من أفراد يعيشون في موقع جغرافي، بل أفكار ومشاعر ومعتقدات متنوعة تتحقق من خلال هؤلاء الأفراد².

الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

أوغست كونت (1798 - 1857)، فيلسوف فرنسي، مؤسسة المدرسة الوضعية، وهي تيار فلسفي نشأ في القرن التاسع عشر، تقوم الوضعية على أن المعرفة الإنسانية، يجب أن تعتمد فقط على الحقائق التجريبية التي يمكن ملاحظتها والتحقق منها، ففي تصور كونت أن الفكر البشري تطور عبر ثلاث مراحل رئيسية هي المرحلة اللاهوتية، حيث يفسر العالم عبر الآلهة والقوى الخارقة، والمرحلة الميتافيزيقية التي تستخدم فيها مبادئ مجردة، وأخيرا المرحلة الوضعية التي يقتصر فيها على العقل البشري، المدرسة الوضعية أصبحت مرجعا في تطوير العلوم الاجتماعية والإنسانية، خاصة في عمل الاجتماع، الذي أطلق عليه كونت فيزياء المجتمع، ودعى إلى دراسته بنفس الصرامة التي تدرس بها الظواهر الطبيعية.

1/ تعريف الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

الفلسفة الوضعية (Positivism) تعد قسماً من أقسام نظرية المعرفة، والابستمولوجيا هي نشأت كنفيز لعلوم اللاهوت والميتافيزيقية اللذان يعتمدان على المعرفة الاعتقادية غير

¹ - عدنان بوزان، "إميل دوركايم وإسهاماته في تأسيس علم السوسيولوجيا"، جريدة الرؤية، 1 ديسمبر 2023.

² - فائق دراج، من هو إميل دوركايم؟، مفكرون، ص: 01.

المبرهنة، وهي إحدى فلسفات العلوم التي تستند الرأي، يقول إنه في مجال العلوم الاجتماعية كما في العلوم الطبيعية، فإن المعرفة الحقيقية في معرفة البيانات المستمدة من التجربة الحسية والمعالجات المنطقية، مصطلح الوضعية أول من قال به الفيلسوف والعالم الاجتماعي الفرنسي أوغست كونت، وضع هذا المصطلح في القرن التاسع عشر، وهو يعتقد بأن العالم سيصل إلى مرحلة من الفكر والثقافة¹، فحسب كونت الطابع الذي يحدد به الفلسفة الإيجابية هي التالية: إننا لا نملك أي معرفة بأي شيء سوى الظواهر².

2/ نشأة الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت:

لقد كان الإصلاح غاية لفلسفة كونت، لأنه رأى أنه لابد من ربط الفلسفة بالحياة حتى يمكن إصلاح المجتمع، ولكن صلاح المجتمع لا يمكن تحقيقه إلا إذا صلحت الأخلاق، وإنما تضطرب هذه الأخيرة وتنهار دعائهما إذا لم يتوقف الوفاق بين العقول، وهذا ما حدث بالفعل على إثر الثورة الفرنسية التي أطاحت بالنظام الاجتماعي القديم، ووجهت ضربة قاصمة للديانة المسيحية، في قوله من العبث أن نبحث عن أساس للأخلاق في الديانة المسيحية بل لابد من البحث عن أساس آخر لها وهو العلم الوضعي، حيث خالف كونت المصلحين في عصره عند ما وضع أسس الفلسفة لكي يقيم عليها الأخلاق والدين، ولذا نرى أنه خصص النصف الأول من حياته العلمية لدراسة مشكلة الفلسفة، حيث يستعويض عن العقيدة التي انتهت إلى الجمود بعقيدة تقوم على برهان وتكفل الأخلاق لحياة جديدة.

وقد فسر كونت سبب الاضطرابات العقلية في عصره، بأن الناس لا يتبعون في التفكير منهاجاً واحداً يقودهم إلى الحقائق يسلم بها الجميع إنما هم يتبعون المناهج³، وضع كونت أسس الفلسفة الوضعية، حيث ادعى أنه اكتشف القانون العام للتطور المناسب، فالتطور الاجتماعي هو استمرار للتطور البيولوجي العام، ويتجلى قانون التطور في التاريخ في رأيه

¹ - شاهين إلهام محمد فتحي محمد، "الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، العدد: 36، مجلد: 2019، جامعة الأزهر، القاهرة، ص: 654.

² - جون ستيوارت ميل، "أوغست كونت والفلسفة الوضعية"، مجلة ويستمنستر ريفيو، الطبعة الرابعة، 1891، ص: 06.

³ - لوسيان ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، ترجمة: قاسم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 2017، ص، ص: 15،

على مراحل مستوى الفكر والحياة وهي: المرحلة اللاهوتية والمرحلة الفيزيقية والمرحلة الوضعية.

المرحلة الأولى (المرحلة اللاهوتية):

ما يميز هذه المرحلة أن عمل العقل فيها هو البحث على كنه الكائنات أصلها ومصيرها، وحاول إرجاع كل طائفة من الظواهر إلى مبدأ مشترك، وقد تدرج في ذلك درجات ثلاثة: كانت الدرجة الأولى "الفيتشية" - التقديس الأعمى - يضيف فيها إلى الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان، وكانت الدرجة الثانية تعدد الآلهة وهي أكثر الدرجات الثلاث تميز للحالة اللاهوتية، يسلب فيها عن الكائنات الطبيعية ما كان خلع عليها من الحياة، ويضيف إلى ذلك موجودات غير منظورة تؤلف عالماً علوياً، أما الدرجة الثالثة فقد كانت توحيد، أي جمع كثرة الآلهة متحدة إلى إله واحد مفارق، وفي هذه الحالة تتسع المشقة ويزداد التضاد بين الأشياء وبين المبدأ الذي تفسر به.

وقد بلغت الحالة اللاهوتية أوجها في المسيحية الكاثوليكية التي تؤلف تأليفاً عجيباً وتفسيراتها الفائقة للطبيعة في فكرة إله واحد مدبر لكل إرادته، فخصائص الحالة اللاهوتية هي أن موضوعها مطلقاً وتفسيراتها فائقة للطبيعة، ومنهجها خيالي هذا من وجهة نظرية، أما من الوجهة العلمية فقد كانت المعاني اللاهوتية أساساً متيناً مشتركاً للحياة الخلقية والاجتماعية وكانت هذه المرحلة الأولى مرحلة سلطة الكهنة وسلطة الملوك¹، أما الفيتشية فتؤكد الفلسفة الوضعية عند كونت أن الفيتشية هي أصل كل الأشكال الدينية².

2-2- المرحلة الثانية (الميتافيزيقية):

في هذه المرحلة انتقل الإنسان من مرحلة التفكير اللاهوتي إلى مرحلة التفكير الميتافيزيقي، وهو في نظر كونت مجرد تعديل للطور اللاهوتي، فهما يشتركان في خصائص

¹ - شاهين إلهام محمد فتحي محمد، "الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها"، المرجع السابق، ص، ص: 688، 689.

² - يمينه جداوي، "المدرسة الوضعية: التطور والخصائص"، مجلة روى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد: الثاني، العدد: الأول، ص، ص: 183، 187.

عديدة، فالإنسان في هذا الطور الميتافيزيقي يسعى في البحث عن العلل الأولى والوصول إلى المعرفة المطلقة، لكنه يستبدل بالعوامل الخارقة على طبيعة القوى المجردة، يتصور أنها قادرة على إحداث كل الظواهر الى يشاهدها، من ذلك فكرة جوهرية وافترض وجود الروح أو النفس لشرح الظواهر.

إن مثل هذه الأفكار ليست سوى تصورات مجردة وقوى ميتافيزيقية يخضع لها العقل الإنساني أحيانا في تفسيره لمختلف الظواهر الكونية، وهذه الحالة تتصف تقريبا بنفس الصفات التي تتصف بها الحالة اللاهوتية، وكل الفرق بينها وبين الحالة السالفة أن المجرّد يحل محل المشخص، ويحل الاستدلال محل الخيال، فأما الملاحظة فالثانوية فيها جميعاً، والطور الميتافيزيقي هذا يمثل الإنسانية، وقد وصلت إلى دور الشباب وخضعت في هذا الدور للتفكير العقلي المجرّد شأنها شأن الفرد في دور الشباب والمراهقة عندما يخضع حياته للأمال الواسعة اللامحدودة وللتفكير المجرّد المطلق، يقول كونت عند هذه المرحلة: " إن الميتافيزيقية حاجز معطل وموقف للتطور، وأن الوقت حان للتخلي عن هذه السخافات الصببانية"¹.

إن هذا الفكر الميتافيزيقي الذي تقطع معه الفلسفة الوضعية، هو الذي انبرى للتساؤلات عن هذه الإجابة على هذه التساؤلات التي طرحها الإنسان بالفطرة، بحكم الطبيعة الميتافيزيقية للإنسان، فالإنسان كائن ذو بعد ميتافيزيقي، إذ أنه يحس بافتقاره إلى قوة مفارقة أو موجود أعلى وأكمل منه، يستمد وجوده وعن طريقه يفسر ظواهر الكون².

2-3- المرحلة الثالثة (الطور الوضعي):

¹ - عزة محمد مصطفى الجندي، الميتافيزيقا عند أوجست كونت، مدرسة العقيدة والفلسفة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، 2015، ص: 26، 27.

² - الشريف طوطاو، "الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور روجيه غارودي: نحو أفق فلسفي وابستمولوجي بديل"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد: 15، العدد: 04، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف، 2018، ص: 08، 09.

هنا تصل الإنسانية إلى دور النضج كما يصل الفرد إلى دور الاكتمال والرجولة، وهو الدور الذي تخضع فيه حياته للواقع وللتجارب، يرى كونت أن هذه الحالة هي الحالة النهائية التي يستقر عليها العقل البشرى خلال مراحل تطوره، وفي هذه الحالة يعدل العقل البشري عن الأسباب وعن معرفة جواهر الأشياء، ويكتفي بملاحظة الظواهر ثم دراستها دراسة علمية في محاولة منه لمعرفة القوانين التي تخضع لها، فالفكر الإنساني في هذه الحالة يدرك استحالة الحصول على المفاهيم المجردة، ولذلك يتخلى عن بحث بداية ونهاية الكون، وعن معرفة الأسباب الخفية للظواهر، يهتم فقط بما يكتشفه بواسطة التركيبات العقلية والملاحظة.

وقانون الجاذبية الذي وضعه نيوتن هو نماذج للتفسير في الطور الوضعي، إنه يفسر مجموعة هائلة من الظواهر المتنوعة دون أن يقول شيئاً عن الجاذبية في ذاتها، فهو يمكن أن يترك ذلك للتخيلات اللاهوتية والتدقيقات الميتافيزيقية، والمهم أن هذا الطور الوضعي هو المرحلة الحاسمة الثابتة من مراحل الذهن البشري، والإنسان فيها يستعيز عن مطالب بعيدة المنال، حيث أعنى مطلب العلل والغايات بدراسة الظواهر والأحوال ووجودها، وقوانين ارتباطها، وأخيراً يزعم كونت أن قانون الحالات الثلاث هذا هو القانون الحتمي والضروري، وأن الإنسانية مجموعة تخضع لها، وأنه لا يمكن أن يوضع هذا القانون موضع الشك، إلا إذا وجد المرء فرع من فروع معرفتنا يتفهم من الحالة الميتافيزيقية إلى الحالة اللاهوتية، أو من حالة الوضعية إلى إحدى الحالتين السابقتين، ولكن هذا لم يتحقق مطلقاً.

ومن خلال ما سبق يتضح أن كونت يرى أن البشرية مرتّ عبر تاريخها الطويل، ومنذ وجودها حتى زمانه بالحالات الثلاث، أو مراحل متتابعة ومتوالية، وفيلسوف مثل كل الفلاسفة والملحدين يعتقدون أن البشرية بدأت الحياة البدائية قريبة من حياة الحيوان، ثم تقدمت عن طريق الخبرات والتجارب الحسية دون معونة أو توجيه من الوحي أو إله، وهذا الرأي المناقض تماماً بل مصادم للعقيدة الحقّة، لكن كونت حسب ما يرى أن البشرية نشأة نشأة بدائية، ثم تدرجت نحو التقدم، وبناء على ذلك وضع ما أسماه "قانون الحالات الثلاثة"،

وكان يهدف من وراء هذا القانون إلى رفض الميتافيزيقية، والقضاء على كل تفكير ديني ينسب أشياء وتأثيرات إلى إرادة الله، وهو يكرس كل جهوده لتحقيق هذا الهدف¹.

فكل مرحلة سابقة في هذا القانون تعتبر منتهية بحلول المرحلة التي تليها، فكونت يرمي إلى جعل الانسان يفكر تفكيراً مجرداً لا أثر فيه للقول بالعناية الإلهية، أو غير ذلك من الأفكار التي تنسب إلى الدين، ونستنتج أن كونت ختم رؤيته بأمل أن العلم والدراسة الموضوعية يساعدان البشرية في الوصول إلى التقدم الاجتماعي، حيث يكون الناس أكثر حرية ورفاهية، لذلك تعدّ الوضعية خطوة فلسفية كبيرة نحو ترسيخ العلم كأساس للمعرفة، وتؤكد على أهمية العقل والتعبير العلمي كأسلوب لتحقيق التقدم².

استنتاج:

في الختام يمكن القول، بأن المدرسة الوضعية تمثل نهجاً تعليمياً حديثاً مع الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت في العصر الحديث، حيث أراد أن ينبه العلماء إلى التطور الذي يحدث في مسار العلم، حين ينتقل التفكير من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الوضعية، ومن ثم تعتبر فكرة الوضعية عند كونت اتجاه فلسفي يريد تحرير العقل من زيف الفلسفة.

ونجد أنها لم تنصر في حدود العالم الغربي، بل أثارت اهتمام المفكر العربي، ولعل أبرز مفكر كان "زكي نجيب محمود"، باعتباره أول من أدخلها إلى الساحة الفكرية العربية، حيث حاول إسقاط مبادئ الوضعية المنطقية على الفكر العربي لإحداث نهضة عربية.

المحاضرة رقم: 09: مدرسة فرانكفورت:

المبحث الأول: نشأتها:

مدرسة فرانكفورت أو النظرية النقدية، تأسست على يد أشخاص معهد البحوث الاجتماعية سنة 1923م، وهي حركة منتمة في الماركسية المعاصرة، حيث تميزت كونها اتخذت النقد منهج، وحاولت القيام بممارسة نقدية جذرية للحضارة الغربية، وكان الهدف

¹ - عزة محمد مصطفى الجندي، الميتافيزيقا عند أوجست كونت، المرجع السابق، ص: 26، 27.

² - عزة محمد مصطفى الجندي، الميتافيزيقا عند أوجست كونت، المرجع السابق، ص: 28.

منها هو خلق مؤسسة أكاديمية حرة غير مقيدة بالأنظمة الجامعية، ومتعثرة البحث في مشكلات الاشتراكية و الرأسمالية والعنصرية وحركة العمال.

نشأتها:

ارتبطت مدرسة فرانكفورت ارتباطاً أوثقاً بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي الذي يحتوي على النخبة من فلاسفة علماء الاجتماع والاقتصاد سنة 1923م، الذين ينحدرون من أصول يهودية فقط، حددوا وضعه وهدفه منذ البداية، وكان من بين أعضائه الذين ذاعت شهرته الأدبية والفكرية مثل عالم النفس الاجتماعي والكاتب الفيلسوف "إريك فروم"، والناقد الأدبي ماركس، وبالأخص الفيلسوفان ثيودور أدورنو، هريبرت ماركوز، والفيلسوف "ماكس هوركهايمر"، الذي تولى المعهد 1930 / 1934م، وكان افتتاح هذا المعهد على يد هؤلاء الأعضاء، وعند وصول النازيون الى السلطة 1933م لقيت عدة انتقادات للفاشية¹، وللثقافة الأمريكية في أمريكا، وبعد الحرب العالمية الثانية عاد المعهد إلى ألمانيا، وأكملوا طريقهم في تأسيس نظرية، معروفة باسم النظرية النقدية²، إن التعمق في الجذور التاريخية لمدرسة فرانكفورت، تسوق أحداث ومنطلقات فكرية فلسفية إلى البدايات الأولى، والمتمثلة في العناصر التالية:

*تراث الفلسفة المثالية الألمانية، وفي مقدمته تراث "جورج فيلهلم".

* كتابات الشباب المبكر لكارل ماركس، وبخاصة المخطوطات الاقتصادية والفلسفية ل عام 1844، التي تحتل فيها فكرة اغتراب الإنسان في ظل مجتمع العلاقات انتاج الرأسمالية في مكانة كبيرة .

* الفلسفات الاجتماعية الألمانية بخاصة عند "ماركس فيبر"، مما أثر على بحوثهم في علم الاجتماع معرفة وأدبا وفنا.

¹ - تعريف مصطلح الفاشية: هو تيار فكري سياسي، ظهر في إيطاليا له نزعة قومية عنصرية، تمجد الدولة إلى حد التقديس وترفض الديمقراطية.

² - مكاي عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي، المملكة المتحدة، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، 2018، ص: 16.

*فلسفة التحرير النفسي والفلسفة عند "سيجموند فرويد"، خصوصا بعد تطويرها بمنظور اجتماعي عند فيلهلم وإريك فروم، وماركوز¹.

المبحث الثاني: روداها:

1. ماكس هوركهايمر:

هو ابن رجل صناعي يهودي ثري، ولد في 14 فبراير 1905 في شتوتغارت، عندما كان عمره في السادسة ترك المتوسطة، ليعمل بمعمل النسيج والذي ملك لأبيه ، التقى بفريدريك عام 1912، وتواجد معه في باريس وفي بروكسيل، و قبل الحرب العالمية الأولى عاش في إنجلترا، وفي عام 1917 شارك في الحرب وأصيب فيها، انخرطا سنة 1919 إلى 1922 في دراسة الفلسفة وعلم النفس والاقتصاد والسياسة بجامعة ميونيخ²، عين أستاذ للفلسفة الاجتماعية بجامعة فرانكفورت، وأصبح مديرا للمعهد خلفا "لجرونبرغ" في نفس السنة، أسس مجلة الأبحاث الاجتماعية سنة 1923، اشتغل هوركهايمر سنوات 1951 إلى 1953 رئيسا لجامعة فرانكفورت، واستمر في وقت نفسه في التعليم الجامعي حتى تقاعده في الستينات، ومن ثم زار أمريكا مرتين الأولى في 1954 و الثانية 1959، بقي هوركهايمر رمزا ثقافيا متميزا حتى وفاته، والتي كانت بتاريخ 7 يوليو 1973، ودفن آنذاك في مقبرة يهودية في برن السويسرية³.

تيودور أدورنو:

فيلسوف ألماني معاصر وعالم اجتماع تيودور أدورنو، ولد في فرانكفورت 11 سبتمبر 1903م، والده يهودي في ألمانيا يعمل تاجرا وأمه إيطالية أصله، وأمه مشهورة، درس أدورنو الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس في جامعة فرانكفورت، لأنه ترعرع في أسرة شغفت

¹ - إبراهيم يحيوي، "النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت الإعلامية: نشأتها وروادها، خصائصها ومنطلقاتها الفكرية"، مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية، المجلد: 8، العدد: 01، 2022، ص: 170، 175.

² - نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت، ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو نموذجا: دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2016، ص: 26.

¹ - ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت: دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، النجف، العراق، ص: 37، 40.

بالموسيقى، كان شديد الفخر بوالدته، حيث خصص أدورنو كل يوم سبت يفتخر فيه لقراءة كتاب كانط الشهير "نقد العقل المحض"¹، ولم يصبح في الواقع عضوا رسميا في بحث العلوم الاجتماعية إلا عام 1938م، ولم ينفي أدورنو عام 1933م وهي السنة التي تسلم فيها الحكم في ألمانيا، بل مضي معظم وقته عام 1937م في إنجلترا في كلية مارثرن أكسفورد، وبعد نفيه للولايات المتحدة استعاد أدورنو تعليمه الوثيق مع هوركهايمر، توفي أدورنو في 6 أوت 1969م².

هابرماس يورغن:

ولد هابرماس عام 1929م في مدينة دوسلدورف، والده أرنست هابرماس كان مدير تنفيذي بالغرفة الصناعية والتجارية، تربي في أسرة بروتستانتية، نال درجة دكتوراه في الفلسفة عام 1954م بأطروحته المعنونة "المطلق والتاريخ"، تسلم منصب مدير معهد سنة 1971م، وعمل هناك حتى سنة 1983م، وتتلذذ على يده عديد من الأساتذة³، قد حدد هابرماس أربعة أنواع من الأزمات التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية وهي الأزمة الاقتصادية والأزمة العقلانية، والأزمة الشرعية والدفاعية أو أزمة التحفيز، من ثم لقد حاول تقديم تقييم بتحويل ذاتي للرأسمالية المتطورة، وعليه فإن هابرماس يقدم قراءة تقييمية للمجتمع الرأسمالي، وقراءة التفكيكية للمجتمع البورجوازي المعاصر⁴.

استنتاج:

يمكن حصر المنطلقات الفكرية للمدرسة في ما يلي:

* تفكير مدرسة فرانكفورت هو تفكير أزمة، إلا أنه جاء في سياق متوتر مثل اندلاع الحرب العالمية الثانية، واندلاع الثورة البلشفية.

¹ - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، ط2، دار رؤية للنشر والتوزيع، ليبيا، 2004، ص: 153.

² - ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت، مرجع سابق، ص: 34.

³ - بن ناصر حاجة، إشكاليات التواصل والنقد الاجتماعي عند رواد مدرسة فرانكفورت: "هابرماس يورغن" أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، جامعة وهران، 2009/ 2010، ص، ص: 33، 34.

⁴ - جمال حمداوي، النظرية النقدية أو مدرسة فرانكفورت، شبكة الألوكة، دراسة المقالات النقدية والحوارات الأدبية، 2003، ص: 09.

*رغم صوغ النظرية النقدية تكون أكثر الفعالية على تفسير الظروف التاريخية المستجدة، والتعامل معها بواسطة ممارسة النقدية، تتجاوز أفكار "كانط" التي ساهمت في عقلانية الحديث، وأفكار ماركس التي استبعدت الذات الإنسانية من حساباتها، خاصة التفسيرات الأرثوذكسية الجامدة.

*أكدت المدرسة النقدية أن مشروع الفكر الغربي أفضى إلى ايدلوجية، هدفها تبرير التسلط وجعله العقيدة الوحيدة للواقع.

*اعتبار المدرسة العقلانية الخاصة بهوركهايمر، كأساس ايدلوجية تستند إلى يقين معرفي متهافت، تهدف إلى تحليل المجتمع والثقافة بمنظور النقدي الماركسي.

* ومن أجل هذا قام هوركهايمر للكشف عن هذا التهافت، من خلال الكشف عن كل نظرية وما تختزمه، والمصلحة الاجتماعية التي كانت وراء نشأتها وولادتها، مع تأسيس الفهم الجديد للذات الإنسانية، يكشف عن قوتها وأيضاً عن حقيقتها، ووعي النظرية بأنها لا تمثل مذهباً خارج التطور التاريخي، ناهيك عن التصدي لمختلف أشكال لاعقلانية، التي حاولت المصالح الطبقية أن تلبسها للعقل وهو منه ذاع.

- القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً- المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ- المصادر المطبوعة:

- أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، د.ت.

- أريك موز، مدخل إلى التاريخ العسكري، ترجمة: العقيد الركن أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبي، الطبعة الثانية، 1979م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.

- إسماعيل ابن كثير، التفسير، ج.2، دار طنبه، 2002.

- أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، 1996.

- أنطونيو غرامشي، قضايا المادية التاريخية، ترجمة: فواز طرابلسي، ط2، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2018.

- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، مصر، 1977م .

- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر، د.ت.

- جوزيف ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ترجمة: حسيق قوجمان، (د، د، ن)، (د، م، ن)، (د، س، ن).

- دانتي أليجيرى، الكوميديا الإلهية، ترجمة: كاظم جهاد، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

- دانتي أليجيرى، الكوميديا الإلهية "الفردوس"، ترجمة: حسن عثمان، دار المعارف، مصر، 1119.

- هرنشو، علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م .

- هاري إلمز بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة: محمد عبد الرحمان برج، ج2، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1987.

- محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ترجمة: صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.

- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ابن هيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، القاهرة، دار الفجر، 2004 .
- شمس الدين السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنتال، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط. 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 .
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تحقيق: هيثم جمعة هلال ، ط. 1 ، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 2007 .
- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، قاعدة في المؤرخين: مطبوع مع كتاب «أربع رسائل في علوم الحديث»، ت: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر، 1990.
- توماس مور، يوتوبيا، ترجمة: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1987.
- توماس أرنولد، تراث الإسلام، ترجمة: جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1972، ط2.
- تيريل كارفر، إنجلز مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداي سي أي سي، المملكة المتحدة، 2017.
- ستالين، المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية، دار دمشق للطباعة و النشر، (د م ن)، (د س ن) .
- فولتير، كنديد، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداي للنشر، المملكة المتحدة، 2017.
- فريدريك بيزر، ترجمات التاريخية، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019.
- فريدريك بيزر، التاريخية، مركز نهوض للدراسات والنشر، 2019.
- كريس هرمان، كيف تعمل الماركسية، ترجمة: وحدة الترجمة، مركز الدراسات الاشتراكية، مصر، الطبعة 1، 2009.
- كوفالزون كيللي، المادية التاريخية، دار الجماهير، دمشق، 1967.

- كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي: دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار المعارف، الإسكندرية، 1959.
- كارل بوبر، بؤس الايديولوجيا، ترجمة: عبد الحميد صبرة، دار الساقى للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1992 .
- كارل بوبر، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة: السيد نفادي، دار التنوير لبنان، ط1، 1998.
- كارل ماركس، رأس المال: نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة: فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، 1985، ج1.
- ميشيل بورديو، أوغست كونت، ترجمة: خالد أبو هريرة، موسوعة ستانفورد للفلسفة، 19 جوان 2022.

ب- المراجع:

- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، المؤسسة الثقافية الجامعية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1975م.
- أشرف صالح محمد سيد، أصول التاريخ الأوروبي الحديث، دار واتا للنشر الرقمي، قطر، 2002.
- أحمد علي عجيبة، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004.
- أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط5، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة ، 1995.
- أحمد الناجي، مجلة الحوار المتمدن، العدد 2342، 2008، محور الأدب والفن.
- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1975.
- أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة ، ط6 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968.
- آرثر إيزا برجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.

- إبراهيم بوطالب، البادية المغربية عبر التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1999.
- إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1980، ط1.
- بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
- جمال حمداوي، النظرية النقدية أو مدرسة فرانكفورت، شبكة الألوكة، دراسة المقالات النقدية والحوارات الأدبية، 2003.
- جاسم سلطان، أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات القادة (د، م، ن)، (د، س، ن).
- دنيا مصطفى، "جان جاك روسو، الحياة والمجتمع"، 3 جويلية 2019.
- الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 2013.
- وجيه الكوثراني، تاريخ التأريخ، المركز الوطني للدراسات والأبحاث والدراسات السياسية، قطر، ط2، 2013.
- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة، 1964م.
- حسنين محمد ربيع، محاضرات في علم التاريخ، القاهرة، 1996.
- حسام الدين فياض، كارل ماركس وعلم المجتمع، ط1، الناشر: نحو علم اجتماع تنويري، (د م ن)، 2017.
- حسين مؤنس، التاريخ و المؤرخون: دراسة في علم التاريخ ماهيته و موضوعاته ومذاهبه و مدارسه عند أهل الغرب و أعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلى فقه التاريخ دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، 1984.
- شوقي الجمل، علم التاريخ: نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.
- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تعريب: القمص مرقس داود، الطبعة الثانية، 1988، القاهرة..

- علي عاطف، المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2005م.
- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005م، الجزء: 02.
- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، دار البصيرة، الكويت، 1977م.
- عبد الله طه عبد الله السلمي، منهج البحث التاريخي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009.
- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962.
- عبد الجبار فالح، ما بعد ماركس؟، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2010.
- عزة محمد مصطفى الجندي، الميتافيزيقا عند أوجست كونت، مدرسة العقيدة والفلسفة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية، 2015.
- عبد الحميد صديقي، تفسير التاريخ، ترجمة: كاظم الجوادي، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1980.
- فاروق عمر فوزي، التدوين التاريخي عند المسلمين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2004م.
- شاكِر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون: دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.
- السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- سعاد زبيطة، "محاضرة مدخل لدراسة التاريخ"، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابن طفيل قنيطرة، السنة الجامعية 2020-2021.
- ستان وولد كب، بالرجوع إلى محاضرة مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور 2019-2020.
- سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، دار الشروق، القاهرة، 2001.
- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996.

- ويدجري آلبان، التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفوشيوس إلى توينبي، مقدمة المترجم، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ج. 1، القاهرة، 1996.
- محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- محمد عبد الغني حسن، علم التاريخ عند العرب، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1961.
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002.
- محمد عبد الرحمن عبد الله، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
- مجبل لازم المالكي، علم الوثائق وتجارب في التوثيق والأرشفة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2009.
- محمد بن صامل السلمي، المدخل الى علم التاريخ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، 2009م.
- محمد ربيع حسنين، محاضرات في علم التاريخ، المنشورات الجامعية، القاهرة، 1996م.
- مها دحام، آدم سميث (فيلسوف وعالم اقتصاد)، الحياة والمجتمع، 27 أكتوبر 2022.
- مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019-2020.
- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1979م.
- محمود الطحان، أصول التخريج ودراسة الأسانيد، دار القرآن الكريم، بيروت، د.ت.
- مجموعة مؤلفين، الماركسية الغربية وما بعدها: التأسيس والانعطاف والاستعادة، إشراف وتحرير ومشاركة: علي عبود المحمداوي، تقديم: أم الزين بن شيخة المسكيني، ط1، دار و مكتبة عدنان، بغداد، 2014.
- مصطفى داودي، مطبوعة في مقياس المدارس التاريخية، ماستر المقاومة والحركة الوطنية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019-2020م.
- محمد إبراهيم السيد، مقدّمة للوثائق العربية، سلسلة الوثائق والمعلومات، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

- محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن علي مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022.
- محمد مجدي الجزيري، نقد التنوير عند هير در، دار الحضارة للنشر والتوزيع، المغرب، د. ط، 1999م.
- محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 1996.
- محاضرة 03، المدارس التاريخية، السنة أولى ماستر، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، جامعة خميس مليانة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن علي مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022.
- محاضرة في مادة المدارس التاريخية، مستوى السنة الأولى ماستر، تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة خميس مليانة.
- مكايي عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي، المملكة المتحدة، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، 2018.
- محمد عرب صالح، التاريخانية دراسة نقدية في الأسس والمباني، ترجمة: حسن علي مطر، العتبة العباسية المقدسة، ط1، العراق، 2022.
- محمد الطالبي، منهجية ابن خلدون التاريخية، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، 1981.
- ميمونة ميرغني حمزة، دراسات في منهجية البحث التاريخي، دار الخليج، عمان، 2010.
- فاروق حمادة، المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2008.
- فتح الدين بن ازواو، محاضرات في النهضة الأوروبية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2016-2017.
- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

- زكي نجيب محمود، ديفد هيوم، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2021.
- تمام طعمه، "نبذة عن فرانسيس بيكون، تعليم وأعلام"، 28 أوت 2021.
- محاضرة مصطفى داودي، مدارس تاريخية، جامعة الشهيد زيان عاشور، 2019، 2020.
- خالد طحطح، الكتابة التاريخية، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 2012.
- رانيا معيوف، مفهوم الثورة عند كارل ماكس، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة غربية حديثة و معاصرة، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2021-2022.
- قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.
- خالد فؤاد طحطح، في فلسفة التاريخ، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.
- فضيلة سنوسي، دروس مادة مدارس ومناهج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2019-2020.
- ظاهر محمد صكر الحسناوي، دراسات في منهجية الفكر التاريخي، دار و مكتبة عدنان، الرباط، 2014.
- ظاهر محمد صكر الحسناوي، دراسات في منهجية الفكر التاريخي إطلالة على دور الوثيقة في كتابة التاريخ، ط1، دار الأمان، الرباط، 2014.
- شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، الوثائق التاريخية: دراسة تحليلية، المكتبة المصرية لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.
- شاكِر عبد الحميد، عصر الصورة السلبية والإيجابيات، الكويت: عالم الفكر، يناير 2005.
- فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000م.
- كارول الخوري، الفلسفة الوضعية: تعريفها، مؤسسها وتأثيرها في الفكر العربي، مؤسسة تكوين، 2024.
- فاتن دراج، من هو إميل دوركايم؟، مفكرون.
- لوسيان ليفي بريل، فلسفة أوغست كونت، ترجمة: قاسم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، 2017.

- نثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت: دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية وضمحلها، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، النجف، العراق.
- نوم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: سعد هجرس، ط2، دار رؤية للنشر والتوزيع، ليبيا، 2004.

ج- الدوريات:

- أحمد زاوي، رشيد مياد، "المدرسة الماركسية وتفسيرها للظاهرة التاريخية"، مجلة رؤية تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، مجلد: 1، العدد: 2، جامعة يحي فارس، المدينة، 2021.
- إبراهيم يحيوي، "النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت الإعلامية: نشأتها وروادها، خصائصها ومنطلقاتها الفكرية"، مجلة رؤية للدراسات المعرفية والحضارية، المجلد: 8، العدد: 01، 2022.
- إياد علي ياسين، "التدوين التاريخي في ألمانيا منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن التاسع عشر"، آداب الرافدين، العدد: 54، 2008/04/29.
- إسماعيل نوري الربيعي، "صناعة الزعيم" قراءة في العقل الميكيافيلي"، دفاتر السياسة والقانون، العدد: 8، جانفي 2013..
- بتار ولد العربي ولد معط الله، "نشأة التاريخ عند العرب المسلمين"، مجلة الفسطاط، 2006.
- جون ستيوارت ميل، "أوغست كونت والفلسفة الوضعية"، مجلة ويستمنستر ريفيو، الطبعة الرابعة، 1891.
- يمينه جداوي، "المدرسة الوضعية: التطور والخصائص"، مجلة رؤية تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطة، المجلد: الثاني، العدد: الأول.
- مصطفى داودي، "الربيع العربي بين الذات والاختطاف كيف نفهمه"، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، العدد: الأول، 2012.
- محمد صفوت مصطفى، "أهمية دراسة التاريخ"، مجلة الرسالة، العدد: 499، بتاريخ 29 أكتوبر 2024، ص: 01.

- فهمية سعودي، "الكتابة التاريخية الغربية: المدرسة الوضعية والحولية نموذجاً"، مجلة المفكر، المجلد: السادس، العدد: الأول، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة.
- فؤاد سيد، "شروط المؤرخ في كتابة التاريخ والتراجم: خمس فتاوى لم تنشر لخمس من أعلام القرن التاسع الهجري"، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1956، المجلد: 02، العدد: 01 و 02.
- عزوز علي، "المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام من خلال دراساتهم للفقهاء الإسلاميين"، مجلة الصراط، العدد: 06، 2004.
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، "الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية"، مجلة الوثيقة، العدد: 38، يوليو 2000.
- عبدالرحيم الحسناوي، "حفريات في مفهوم الوثيقة التاريخية: مقاربات وتصورات"، مجلة كلمة، العدد: 105، 2020 / 1441 هـ.
- عدنان بوزان، "إيميل دوركايم وإسهاماته في تأسيس علم السوسيولوجيا"، جريدة الرؤية، اديسمبر 2023.
- ثورية برجوح، "المهاد المعرفي للنقد الثقافي: الماركسية، الفرويدية، العدمية"، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد: 5، العدد: 3، جامعة الوادي، الجزائر، 2022.
- نورة كطاف هيدان، "النظرة الماركسية: الأسس والتقييم"، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، العدد: 05، الجامعة العراقية، (د،س،ن).
- شاكر محمود عبد المنعم، "الوثائق وأهميتها في دراسة وتدريس التاريخ"، مجلة المؤرخ العربي، العدد: 55، 1997.
- شاهين إلهام محمد فتحي محمد، "الفلسفة الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، العدد: 36، مجلد: 2019، جامعة الأزهر، القاهرة.
- الشريف طوطا، "الفلسفة الوضعية وأزمة علوم الإنسان من منظور روجيه غارودي: نحو أفق فلسفي وابستمولوجي بديل"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد: 15، العدد: 04، جامعة محمد الأمين دباغين سطيف، 2018.

د- الأطروحات:

- بن ناصر حاجة، إشكاليات التواصل والنقد الاجتماعي عند رواد مدرسة فرانكفورت "هايرماس بورغن" أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، جامعة وهران، 2009/2010.
- حامد الزهرة، فلسفة الثورة عند كارل ماركس، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي، تخصص تاريخ الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح، قالمة، 2015. 2016.
- رندة مراح، النقد الاستيمولوجي للنزعة التاريخية عند كارل ريموند بوبر، مذكرة لنيل شهادة ماستر تخصص فلسفة، جامعة ورقلة، 2017.
- الطاهر مولف، العقل الوضعي عند أوجست كونت، أطروحة ماجستير في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 18 جوان 2008.
- عبد القادر منصوري، جميلة بن عباس، الدولة عند كارل ماركس، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص فلسفة اتصال ونظريات الترجمة، جامعة عبد الحميد ابن باديس، 2014، 2015.
- نور الدين بوزار، الفلسفة والعلوم الاجتماعية عند مدرسة فرانكفورت، ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو نموذجا: دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2016.

هـ- الموسوعات والمعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، مجلد: 10، دار الصادر.
- أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ج2.
- إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر، د.ط، 1403هـ، 1983م.
- محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.